عَصرُ العَقلْ

تحقيقٌ في اللاهوتِ الحقيقيِ و الاسطوريِ

الجُزءُ الأول

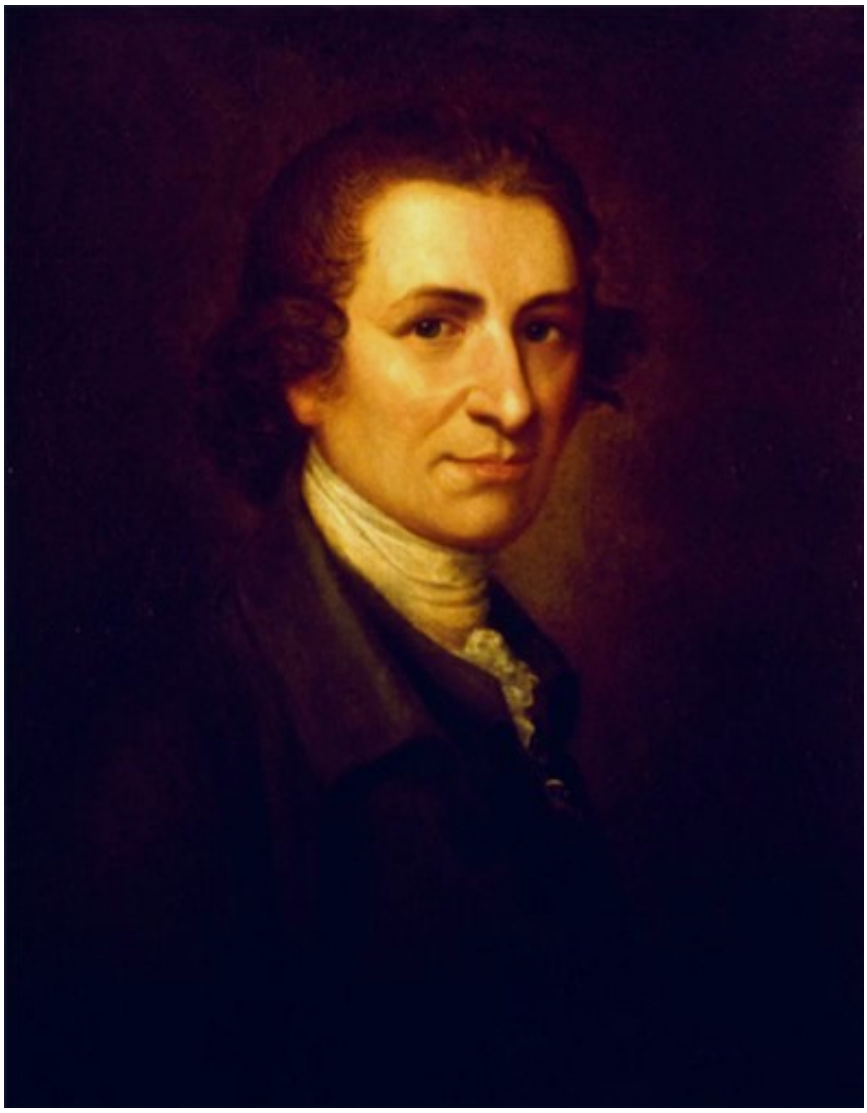

توماس باين

١٧٩٤

ترجمة: محمد موسى

تمت الترجمة بواسطة:

محمد موسى

McMoses@yandex.com

هذا المُصنَّف مرخص بموجب

رخصة المشاع الإبداعي نَسب المُصنَّف - غير تجاري - الترخيص بالمثل ٤.٠ دولي.

عن الكتاب

عَصرُ العقل: (بالإنكليزية: The Age of Reason) كتابٌ ألفهُ توماس باين في القرنِ الثامنِ عشر إنتَقَدَ فيهِ ألدينَ المُهيكلَ وتَحدى عِصمةَ الكتابِ المقدسِ. طُبِعَ في ثلاثةِ أجزاء في ١٧٩٤ و ١٧٩٥ و ١٨٠٧ وأصبحَ في قائمةِ أفضلِ المبيعاتِ في أمريكا حيثُ سَبَبَ إحياءً لمذهبِ الربوبية.

يُقدمُ الكتابُ أدلة الربوبيةَ مثل انحرافِ الكنيسةِ المسيحيةِ وانتقادَ محاولاتِها للحصولِ على السلطةِ السياسية. يؤيدُ الكتابُ العقلَ والمنطقَ عوضاً عَن الوحي ويرفُضُ المعجزاتِ ويعتبر الكُتُبَ المُقدسةَ قِطعاً أدبيةً وليست وحياً إلهياً. لا يَرفُضُ فِكرَةَ الربِ بل هو ربوبيٌ يدعمُ الدينَ الطبيعي ويؤمن بخالق.

كانت مُعظمُ الأدلة التي إستخدَمَها الكاتبُ معروفةً للنُخبةِ المثقفةِ، لكنهُ قّدَمَها بأسلوبٍ شيقٍ زاد مِن جاذبيتِها وشعبيتِها لجمهورٍ عريضٍ. و قد ألهَمَت أفكارا الكتاب مُفكرينَ آخرين.

الفهرس

كلمةُ المؤلف ٥

الفصل الاول: الممارسة الايمانية للمؤلف ٦

الفصل الثاني: المهمات و الوحي ٨

الفصل الثالث: يسوع المسيح و تاريخُهُ ١١

الفصل الرابع: الأُسس المسيحية ١٤

الفصل الخامس: تفحصّ لتفاصيلِ الأُسس ألسابقة ١٦

الفصل السادس: عن اللاهوت الحقيقي ١٨

الفصل السابع: عن العهد القديم ١٩

الفصل الثامن: عن العهد الجديد ٢٦

الفصل التاسع: عن ما يحتويه الوحي الحق ٣٢

الفصل العاشر: عن الرب وسماته في الكتاب المقدس ٣٤

الفصل الحادي عشر: عن اللاهوت المسيحي و اللاهوت الحقيقي ٣٨

الفصل الثاني عشر: آثار المسيحية على التعليم و الإصلاحات المقترحة ٤٣

الفصل الثالث عشر: مقارنة بين المسيحية و أفكار دينية مستوحاة من الطبيعة ٤٩

الفصل الرابع عشر: نظام الكون ٥٥

الفصل الخامس عشر :مزايا وجود عوالم كثيرة في النظام الشمسي ٥٨

الفصل السادس عشر: تطبيق ما سبق على النظام المسيحي ٦٠

الفصل السابع عشر: من الوسائل المستخدمة على الصعيد العالمي، لخداع الشعوب ٦٢

خُلاصة ٧١

كلمةُ المؤلف

إلى زمُلائي مِن مواطني الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية:

أضَعُ العَمَلَ التاليَ تَحتَ حِمايتكم. أنهُ يَحتوي على آرائي عن الدين. ستُنصفونَنَي بتذكُركم بأنني قد أيَدتُ بقوةً حّقَ كُلَ إنسانٍ إمتلاكَهُ رأيَهُ الخاص، مهما كان مُختَلِفاً عَن رأيي .

مَن يتَنَكرْ هذا الحقُ للأخرِ، يَجعَلُ مِنْ نَفسِهِ عبداً لرأيهِ الحالي لأنهُ يَحولُ دونَ حَّقِهِ في تغييرهِ.

إن أكثرَ الأسلحةَ فاعليةً ضِّدَ كُلَ نوعٍ من الأخطاء هو العقل. لم أقُمْ بأستخدام أي أداةٍ أُخرى وأنا واثقٌ بأنني لن أَقومَ بذلكَ أَبداً.

صديقٌ حنونُ وزميلُ مواطن
توماس باين
لوكسمبورغ، الثامن من بلوفويز،
العام الثاني لقيام الجمهورية الفرنسية.
٢٧ كانون الثاني ١٧٩٤.

الفصل الاول: الممارسة الايمانية للمؤلف

لقد كان في نيتي، منذُ سنواتٍ مضتْ، نشرَ أفكاري عَنْ الدينِ. مدركاً جيداً حجمَ الصعوبات المتعلقةِ بالامر، من هذا المنطلق، احتَفَظتُ بِها لفترةٍ لاحقةٍ. قصدتُ بها أن تكونَ الهديةَ الأخيرةَ التي أُقدِمُّها لزملائيَ من مواطني جميعِ الأممِ، في الوقتِ الذي لا تكونُ فيه نيتي محطَ شكوكٍ، حتى من قبلَ الرافضين للعمل الذي أقدمُهُ.

إن ما حدثَ الآن في فرنسا مِن الغاءٍ للنظامِ الكهنوتيِ أجمعه بكلِ ما يتعَلقُ به من نظمٍ دينيةٍ وبنودٍ عقائديةٍ قهريةٍ، لم يزَدْ من دافعي فحسب، بل جَعَلَ أيضاً هذا النوعَ مِن العمل ضرورياً للغايةِ، ففي الحطامِ العامِ للخرافاتِ، والنظمِ الحاكمةِ الكاذبةِ، واللاهوتِ المزيفِ، تُنسى البصيرةَ، والأخلاقَ، والإنسانيةَ، واللاهوتَ الحقَ.

وكما قَدَمَ لي العديدُ من زملائي وغيرِهمْ من مواطني فرنسا مثالاً لبناءِ نظامِهمْ العقائِدي الطوعِي و الشخصِي، سَأقومُ انا ايضاً ببناءِ نظامي. وأنا أفعلُ ذلكَ بِكلِ الإخلاصِ والصراحةِ التانِ يتصلُ بِهِما عقلُ الإنسانِ مَعَ نفسهِ.

أؤمن بربٍ واحدٍ فقطْ، لا أكثر؛ وآملُ في سعادةٍ بعدَ هذهِ الحياةِ.

اؤمنُ بألمساواةِ بينَ البشرِ. وأؤمنُ بأنَ الواجبات الدينية تتمثلُ في تَحقيقِ العدالةِ والمحبةِ و الرحمةِ، والسعيِ لسعادةِ المخلوقاتِ الأُخرى.

الى جانب ذلك أؤمنُ بأمورٍ أخرى كثيرةٍ، لذلكَ سأقدمُ في هذا الكتابِ، الامور التي لا اؤمنُ بها، وأسبابَ عدمَ ايماني بها.

أنا لا اؤمنُ بالعقيدةِ المعلنةِ من قبلِ الكنيسةِ اليهوديةِ، الرومانيةِ، اليونانيةِ، التركيةِ، أو الكنيسةِ البروتستانتية، ولا أي كنيسةٍ اخرى أعرِفُها، عقلي هو كنيستي.

جميع المؤسسات والكنائس، سواءً كانت يهوديةً، ام مسيحيةً أم تركيةً، لا تبدو لي سوى اختراعاتٍ بشريةٍ، أُنشأتْ لتخويفِ واستعبادِ الانسانِ، واحتكارِ السُلطةِ و الارباحِ.

ولا أقصدُ بهذا الإعلانِ إدانةَ من يؤمنون خلافً لذلكً؛ فلهم نفسُ الحق في اعتقادهم كما هو لي. ولكنَ من الضروري لسعادةِ الإنسانِ أنْ يكونَ مخلِصاً عقلياً لنفسِهِ، فالكفرُ لا يتَعَلَقُ بالإيمانِ مِن عدمهِ. بل انه اعتناقُ الشخصِ لعقيدةٍ لا يؤمِنُ بها.

إن من المستحيلِ حسابُ الأذى الأخلاقي -ان كان ليَ التعبيرُ عنهُ بهذهِ الطريقة- عندما يُنتَجُ الكذِبُ العقليُ و يَنتَشرُ في المجتمع. فعندما يُفسُدُ الإنسانُ و يَغِشُ عَقلُهُ، ويُذعِنُهُ للأعتقادِ بأشياءٍ لا يؤمنُ بها، فأنهُ يُعُدُ نَفسَهُ لإرتكابِ أي جريمةٍ أُخرى. ويَأخُذُ بتِجارةِ الكهَنوتِ لكسبِ المالِ، ومن أجل تأهيلِ نَفسِهِ لهذهِ التجارةِ يبدأُ بشهادةِ الزورِ. هل يُمكننا تَصورُ أيَ شيءٍ أكثرُ تَدميراً للأخلاقِ مِنْ هذا؟

بعد فترةٍ وجيزةٍ من نشرِ كُتَيب "الحِسُ السَليمِ"، في أمريكا، رأيتُ احتمالاً كبيراً بأن ثورةً في نظام الحكمِ ستتبعُها ثورةٌ في نظام الدين. إن الارتباطَ الخادعَ بينَ الكنيسةِ والدولةِ، أينما حَلَ سواء كانَ يهودياً أم مسيحياً أم تركياً، يمنعُ كُلَ نقاشٍ عن المذاهبِ الراسخةِ، و عن مبادئ الدين الأولى، لذلك لا يُمكنُ أن يتمَ عرضُ هذهِ الأُمور على نحوٍ عادلٍ وصريحٍ أمام العالمِ إلا بتغييرِ نظامِ الحُكمِ.

ولّكن حينما يَتمُ القيامَ بذلكَ، سَيُتبَعُ بثورةٍ في نظامِ الدينِ. ويَتُمَ الكشفُ عن الاختراعاتِ البشريةِ وخداعِ الكهنوتِ. ويَعودُ الانسانُ لإيمانٍ نقيٍ، غير مخلوطٍ أو مزيفٍ، أي الايمانُ بألهٍ واحدٍ، لا أكثرْ.

الفصل الثاني: المهمات و الوحي

كُلَ كنيسةٍ أو دينٍ قد وضعَ لِنَفسِهِ اساساً بإدعاءِ حملِ مُهمةً خاصةٍ من رَبٍ يتواصلُ مَعَ بعض الأفرادِ. اليهودُ لديهمْ موسى. المسيحيون لَديهمْ يَسوع ورُسُلِهمْ والقديسينَ؛ والأتراكُ لَدَيْهمْ مُحَمّدْ، كما لو إنَ الطريقَ إلى الرَبَ لَم يَكن مفتوحاً لكل أنسانٍ على حدٍ سَواءْ.

كُلٌ من هذهِ الكنائسِ تُظهِرُ بعضَ الكُتُبِ، التي يُسَمونَها الوحيَ، أو كلمَةَ الرَب، فيقولُ اليهودُ أنَ كَلمَةَ الرَبِ قد أُعطَيتْ لموسى وَجهاً لوجه. ويقولُ المسيحيونَ كذلك جاءَتْ كلمةُ الرَب من الوحيِ الإلهي: ويقولُ الأتراكُ، أنَ كلمةَ الرَب (القرآن) قد جُلِبَتْ مِنْ قِبَلِ ملاكٍ مِنَ السماء. كُلٌ مِن تلكَ الكنائِسِ تَتَهِمُ الآخرى بالكفرِ، و انا بدوري أَكفُرُ بِهِمْ جميعاً.

أنهُ لِمِنَ الضروريِ إلصاقُ الأفكارِ و المعانيَ إلى مُفرَداتِها الصحيحةِ، لذَلكَ سأقومُ بِذكرِ بعضِ الملاحظاتِ حَولَ كَلمة الوحي قبل المُضيِ قُدماً في الموضوع، فالوَحيُ، عِندَما يُذكرُ في سياقِ الدينِ، فأنهُ يَعني نقلَ شيءٍ فوراً من الرَبِ إلى الإنسانِ. لا أحدَ يُنكرُ أو يُعارضُ سُلطَةَ القديرِ أن يَصنعَ مثل هكذا رسالة، إذا كانَ يرغب.

ولكنَ الاعترافَ، جدلاً، أن شيئاً قد كُشِفَ لشخصٍ معينٍ، دونَ أي شخصٍ آخر، هو وحي لهذا الشخص فقَطْ. فحين يقومُ بنَقلِهِ لشخصٍ ثانٍ، و من ثانٍ لثالثٍ وثالثٍ لرابعٍ، وما إلى ذلك، فإنهُ لَم يَعدْ وحياً لجميعِ هؤلاء الأشخاص. إنَهُ وحيٌ لأولِ شخصٍ فقط، وإشاعةٍ الى الاخرينَ، وبالتالي هم ليسوا مُلزَمينَ بِتصديقِها.

إنهُ لتَناقضٌ في المُصطلحاتِ والأفكارِ، تسميةُ أي شيءٍ يأتي إلينا من جهةٍ أخرى وحياً، إما لفظياً أو كتابةً. الوحي يَقتَصرُ بالضرورةِ على التواصل الاول، بعد ذلك، هو مجردُ تسليمٍ بأنَ ما يقوله هذا الشَخصُ هو وحيٌ مُنزَلٌ، وعلى الرغم من انهُ قَد يَجِدُ نَفَسَهُ مضطراً

للأيمان به، فإنه لا يُمكنُ أن أكونَ مُلزماً بالأيمانِ بها بنفسِ الطريقةِ؛ لأنه لم يكن وحيا مُنزلاً الي، وليس لديَ سِوى كَلِمتَهُ بأن وَحياً قد أُنزِلَ اليهِ.

عندما قالَ موسى لبني إسرائيلَ أنه قَد تَلَقى لوحي الوصايا من يدي الرب، لم يكونوا مُلزمينَ بتصديقِهِ لأنه لم يَكن لديهم أي سلطة أخرى لذلكَ سوى قَولِهِ لَهم؛ وليس لدي أيَ سُلطةٍ أخرى سوى كَلِمَةَ مؤرخٍ ما يُخبِرُني بِذلكَ.

ولا تحملُ الوصايا في داخِلِها دليلاً على الألوهية ؛ بل تحتوي على بعضِ الأخلاقياتِ الجيدةِ* التي ممكنُ أن يَتِمَ وضعُها من قِبل أي رجلٍ مؤهلٍ ليكونَ مُحامياً، أو مشرعاً، دونَ اللجوءِ إلى تَدَخُّلٍ خارقٍ للطبيعةِ.

*ومع ذلك، فمن الضروريِ أن يُستَثنى مَن ذلكَ الإعلانُ الذي يقولُ أن الرَبَ يُحملُ خطايا الآباء على الأطفالِ. إن هذا مُخالفٌ لكلِ مبدإٍ من مبادئِ العدالةِ الأخلاقيةِ.

عِندَما قيل لي أَن القُرآنَ قَد كُتِبَ في السماءِ وجُلِبَ إلى مُحمدٍ مِن قِبلِ ملاكٍ، فالادعاءُ يندَرِجُ أيضاً تحت نفس النوع من الإشاعة كَسابِقِهِ والأدلة الغيرِ مباشرةٍ أيضاً والسلطةِ المستخدمةِ كالسلطةِ السابقةِ. فلم أرَ الملاكَ بنَفسي، وبالتالي، لدَيَ الحقُ في عَدمِ الإيمانِ به.

عِنَدما قِيلَ لي أيضاً إنَ هُناكَ امرأةً تُدعى مَريم العذراء، وانها قد أُعطيَتْ طِفلاً دونَ معاشرةِ رَجُلٍ و أن خَطيبها، يوسف، قد قالَ أَن ملاكاً قد أَخبرَهُ بِذلكَ، فلدي الحقُ في التصديقِ من عدمِهِ؛ فمثلُ هكذا ظرفٍ يَتَطلبُ أدلةً أقوى بكثيرٍ من مجردِ كلامِهِمْ؛ لكننا لا نَملكُ ذلكَ حتى، لأنه لم يَقُم يُوسفَ ولا مريمَ بكتابةِ أي شيءٍ من هذا القبيلِ، بل أنها ذُكرتْ مِن قبلِ الآخرين فانها اذاً إشاعةٌ مَبنيةٌ على إشاعةٍ لذَلكَ أختارُ أن لا أجعَلَ هكذا ادلةً اساساً لإيماني.

ومعَ ذلكَ، فإنهُ ليسَ مِن الصعبِ حسابُ مصداقيةِ قصةِ يسوع المسيح بكونهِ ابن الرَبَ، لقد كان ولداً عندما كانتْ الأساطيرُ الوثنيةِ لا تزالُ تَحتَفِظُ بريادتها وسُمعتِها في العالم، وأن الأساطيرَ أعَدت الناسَ للإيمان بهكذا قصة، تقريبا جميعُ الرجالِ ذوي سمعةٍ طيبةٍ الذينَ عاشوا في عصرِ الأساطيرِ الوثنية عادة ما يُعتَقَدُ كونِهمْ ابناءً لبعضِ الآلهة.

لم يَكنْ مِنَ الجَديدِ في ذلك الوقتِ، الاعتقادُ بأنَ رجلاً ما قد أُنجِبَ مِن السماءِ؛ لقد كان جماعُ الآلهةِ مع النساءِ حينذاك مسألةَ رأيٍ مألوفٍ. الاله المشتري، وفقاً لِحساباتِهم، قد عاشَرَ المئات لذلك لا شيءَ جديدٍ في القصةِ سواءَ كانَ، رائعاً، أم فاحشاً. فَقَدْ كانتْ مطابقَةً للآراءِ التي سادتْ آنذاك بينَ الناسِ الذينَ يُطلَقُ عليهم وثنيونَ أو اسطوريونَ، وكانَ هؤلاءِ فقط مَن يؤمنُ بذلكَ. اليهودُ الذين إحتفظوا بالايمانِ بإلهٍ واحدٍ، لا أكثر، رَفَضوا دائماً الأساطيرَ الوثنيةَ، ولَمْ يُعطوا ابداً أيَ مصداقيةٍ للقصة.

ومِنَ الغريبِ أن نُلاحظَ أنبثاقَ نظرية ما يُسمى بالكنيسةِ المسيحيةِ من ذيلِ الأساطيرِ. فإن الاندماجَ المباشرَ حَدَثَ في المقامِ الأولِ من خلالِ جَعلِ المؤسسِ ذو السُمعةِ الطيبةِ سماوي المولدِ.

ثالوث الآلهة و ما تلاهُ بَعَدَ ذلكَ ليس سِوى تقليلٍ لعدد الآلهة السابقة الذي كانَ حوالي عشرونَ أو ثلاثونَ ألفاً، فتمثالُ مريمَ نَجَحَ بإستبدالِ تمثالَ ديانا أفسس. الأبطالُ تم تغييرُهمْ إلى قديسينَ. لقَد كان للأساطير آلهة لكلَ شيءٍ وللأساطيرِ المسيحيةِ قديسون لكلَ شيءٍ؛ أَصبَحَت الكنيسةُ مُزدحمَةً، كما كانت المعابد الوثنية، وكانت روما مكاناً لكليهِما.

النظريةُ المسيحيةُ ليست شيئاً اخراً سوى وثنيةٍ مِن الأساطيرِ القديمةِ، وتم تبنيها لأغراضِ السلطةِ والإيراداتِ؛ و الآن لا يزال دور العقل والفلسفةِ قائماً لإبطالِ هذا الاحتيال.

الفصل الثالث: يسوع المسيح و تاريخُهُ

لا شيءَ مما ذُكرَ هنا يُمكنُ أن يُعتَبَر اساءةً بأقل درجاتِها للطابعِ الحقيقيِ ليسوع المسيح. لقد كان رجلاً فاضلاً ودياً، كانت الأخلاقُ التي بَشَرَ بِها ومارسَها من النوعِ الأكثرُ خيراً؛ وعلى الرغمِ من وجودِ نُظُمٍ مماثلةٍ من الأخلاقِ قد بَشَرَ بها كونفوشيوس، وبعض من الفلاسفةِ الاغريق، قبل سنوات عديدة؛ و من قبل الكويكرز منذ ذلك الحين؛ والكثير من الاشخاصِ الجيدين في جميعِ العصورِ، لكن لم يتفوق عليها من قبل أي منهم.

لم يكتب يسوع المسيح أي بيانٍ عَن نفسِهِ، عن ولادتِهِ، نَسَبِهِ، أو أيَ شيءٍ آخر؛ ولا حتى خطاً واحداً مما يُسمى بالعهدِ الجديدِ فهو ليس من كتاباتِهِ. تاريخُهُ هُوَ تماماً مِن صُنعِ أشخاصٍ آخرينَ؛ وعن البيانِ المعطى لقيامتهِ وصعوده، كان ذلكَ النظيرَ الضروريَ لقصة ولادتِه.

فبعدما جَلَبَهُ المؤرخون إلى العالمِ بطريقةٍ خارقةٍ للطبيعةِ، اضطروا إلى إخراجه منه مرة أخرى بنفس الطريقةِ، وألا بطل الشَطرُ الاول من القصةِ و أُطيحَ بهِ الى الارض.

الأختراعُ البائسُ الذي يتمثلُ في ادعاءِ الشطر الأخير يتجاوزُ كُلَ شيءٍ مضى من قبل ذلك. إنَ الشطرَ الاولَ هو تصورٌ خارقٌ، ولم يكن شيئاً ممكناً للتأكيدِ من قبلِ العامةِ. وبالتالي كان لرواةِ هذا الشطرِ مِنَ القصةِ هذه الفائدة، فعلى الرغمِ من أنها قد لا تُصدق، فلا يمكن الكشف عن زيفِها. إذ لا يمكن أن يتوقعُ من احدِهمْ إثباتَ ذلك، لأنه لم يكن احدى الأشياء القابلة للإثبات، وكان من المستحيل لشخص قد أُخبرَ بذلك أن يُثبتَه بنفسِهِ.

ولكنَ قيامةَ شخصٍ ميتٍ من القبرِ، و الصُعودُ به في الهواءِ، هو شيءٌ مختلفٌ جداً بالنسبةِ للأدلةِ التي يمكنُ الاعترافُ بِها، مقارنةً مع تصورٍ غيرَ مرئيٍ لطفلٍ في داخل رحمٍ. فالقيامةُ والصعودُ، يفترَضُ أنها قد إتخذَتْ مكاناً ظاهراً لعيانِ العامةِ، كصعودِ المنطادِ، أو سطوع الشمسِ في ظهيرةِ اليومِ، واضحاً لجميعِ من في القدسِ على الأقل.

والشيءُ الذي يتَطلبُ من الجميعِ إلايمانَ بِهِ، يتطلبُ دليلاً و أن يَكونَ هذا الـدليلُ مسـاوياً للجميع، وأن يكونَ عالمياً؛ إن الرأي العام لهذا الفعل الأخيـرِ هـو الـدليل الوحيـد مـن الأدلـة التي يُمكنُ أن تعطي مصداقيةً للشطرِ الاولِ، و إلا بَطُلَتْ القصة بأكملِها وهَوَتْ إلى الأرض.

إن هذهِ الأدلةِ لَمْ تُعطى أبداً. في حينِ إن عدداً قليلاً من الأشخاصِ، ليسوا بأكثرَ من ثمانيةٍ أو تسعةٍ، جُعِلُوا وكلاءً للعالمِ بأسرهِ، ليقولوا إنَهُم رؤوا ذلَكَ، وجميعُ من في العالمِ مدعوينَ لتصديقه.

ولكن يبدو أَن توماس لم يؤُمن بالقيامةِ، وكما يَقولونَ، لَن يُصدِقَ إلا بوجودِ دليلٍ واضـحٍ و ظاهرٍ لَهُ. والسَبَبُ جيدٌ بما فيه الكفايةِ لتوماس كما هو جيدٌ ايضاً لأي شخصٍ اخر.

ومن العسيرِ محاولةِ التخفيفِ عن هذه المسألةِ أو تمويهُها. فالقصةُ، بقدرِ ما يتَعلقُ بها مـن جزءٍ خارقٍ للطبيعةِ، تَحمِلُ في طياتِها كُل علاماتِ الغشِ و الخداعِ. فأياً كان مؤلفُ الكتـابِ فإنهُ مِنَ المُستحيل لنا الآن أن نعرِفَ، وأن نتأكد أن الكتب قـد كُتِبـتْ مـن قِبـلِ الأشـخاصِ الذين تَحمِلُ أسماؤهم.

أفضلُ دليلٍ ناجٍ لنا الآن من الأدلة التي يُمكنُ احترامها هو اليهود، فهُـم ينحـدرونَ بانتظـامٍ مِن الناسِ الذينَ عاشوا في تلكَ الأوقات التي حَدثَتْ فيها القيامةُ والصعودُ، وهـم يقولـونَ إنها لم تحدُث.

لقد بدا لي مُنذُ فترةٍ طويلةٍ عدمَ تناسقٍ غريبٍ في ذكرِ اليهودِ كدليلٍ علـى حقيقـةِ القصـةِ. انه فقط كقولُ شخصٍ سأُثبتُ حقيقةَ ما أنا قائلٌ لك مـن خلالِ النـاسِ الـذينَ يقولـون إنـهُ غيرُ صحيح.

إن احتماليةَ وجودِ مِثلِ هذا الشخصِ يسوعٌ المسيحِ و إعـدامِهِ بطريقـة الصَـلبِ المعروفـةِ آنذاك، هي علاقةٌ تاريخيةٌ تَقَعُ بدقةٍ ضِمنَ حـدودِ الاحتمـالاتِ. فقـد قيـلَ إنـهُ بشّـر بمكـارمِ الاخلاقِ والمساواةِ بينَ الناسِ. لكنهُ بَشّرَ أيضاً ضد فسادِ و جَشَـعِ الكهَنـةِ اليهـودِ، وهـذا مـا جَلَبَ لَهُ كراهيةَ وإنتِقامَ نظامَ الكهنوتِ بأجمعهِ.

الإتهامُ الّذي وّجَهَهُ هؤلاء الكهنةِ ضده كان الفِتنةَ والتآمرَ ضِّدَ الحكومةِ الرومانيةِ، التي كان اليهودُ تابعينَ وخاضعينَ لها؛ وليسَ مِنَ المُستبعدِ إمتلاكُ الحكومَةِ الرومانيةِ مخاوفاً سريةً من آثار عقيدتهِ، وكذلكَ الكهَنةَ اليهودُ. فَليسَ من المُسـتحيلِ كـونَ يسـوع المسـيح متـأملاً في خلاصِ الأمةِ اليهوديةِ من عبوديةِ الرومانِ؛ و لكن بينَ هاتين، فَقَـدَ الاصـلاحيُ الثـوريُ حياته.

الفصل الرابع: الأُسس المسيحية

وعلى هذا السردِ للوقائعِ، جنباً إلى جنب معَ حالةٍ اخرى ماضياً بذكرِها، أقـام الأسـطوريونَ المسـيحيونَ الـذينَ يَـدعونَ أنفُسِـهِم الكنيسـةَ المسـيحيةَ، خرافتِهِـم بسـخافةٍ و تهـورٍ لا يتَجاوزُهُ أيُ شيءٍ آخر يُمكنُ العُثورُ عليهِ في أساطيرِ القُدماءِ.

رواةُ الأسـاطيرِ القديمـةِ يَقولـونَ لنـا أن عِرقـاً مِـنَ العمالقـةِ قـد أعلَنُـوا الحَـربَ ضِـدَ الآلـه المُشتري، وأن أحدهم ألقى مئةَ صـخرةٍ عليـهِ فـي رميـةٍ واحـدةٍ؛ وأن المشـتريَ قَـد هزَمَـهُ بالرعدِ، وحَبَسَهُ بعدَ ذلكَ تَحتَ جبلِ إتنا، وأنه في كل مرةٍ يستديرُ فيها العملاقُ ينفُثُ جَبَلَ إتنا النارَ عليهِ.

فَمِنَ السهلِ هُنا أَن نَرى أنَ كونَ الجبلِ بركاناً كان اساسَ فِكـرة الخرافـة؛ وبـذلكّ يَتِـمُ صـنع قصةٍ لتجاريَ هذا الظرف.

أصحابُ الأساطيرُ المسيحيونَ يقولـونَ لنـا أن الشـيطانَ قـد أعلَـنَ حربـاً ضـد الـرب، الـذي هزَمَهُ، وحاصَرُهُ بَعَد ذلك، لا تَحتَ جبلٍ، بل في حفرةٍ. فمنَ السهلِ هُنـا أَن نـرى أن الخرافـةَ الأولى قَد اوقَدَتْ فكرةَ الثانية. لأن خرافةَ المشتري سَبَقتْ خرافةَ الشيطانِ بمئاتٍ السنينِ.

لذلكَ فألاساطيرُ القديمةُ والأساطيرُ المسيحيةُ لا تَختلِفُ كـثيراً عـن بعضـها البعـض. ولكـنَ الأخيرةَ أخَـذَتْ المسـألةَ أبعـدَ بكـثيرٍ. فَقَـد فكـروا بربـط جـزءٍ مِـن خرافـةِ يسـوع المسـيح بخرافةٍ نَشَـأتْ مِـن جبـلِ إتنـا؛ ومـن أجـل ربـط اجـزاءِ القصـةِ معـاً، إتَخَـذوا تقاليـدَ اليهـودِ لمساعدتِهم. ذلك بأن الأساطيرَ المسيحيةَ تتكونُ جزئياً من الأساطيرِ القديمـةِ وجزئيـاً مـن التقاليدِ اليهوديةِ.

أصحابُ الأساطيرِ المسيحيةِ، بعدَ أن حبسوا الشيطانَ في حفرةٍ، اضطروا للسَماحِ له بالخروجِ مرةً أخرى لتكملةِ الخرافةِ. فيتمُ تَمثيلُه في جنةِ عدنٍ بهيئةِ ثعبانٍ أو افعى، وبهذا الشكل يدخلُ بمحادثةٍ مألوفةٍ مَعَ حواء، التي لم تتفاجأ بسماعِ افعىً تتكلم ومُشكلةُ هذا الهراء بأنهُ قد اقنعَها بأكل تفاحةٍ، و انها بأكلها لهذِه التفاحةِ قد لعنت الجِنسَ البشريَ بأسرهِ.

بعدَ إعطاءِ الشيطانِ هذا النصرَ على الخلقِ كلهِ، من المتوقعِ ان يكونَ أصحابُ الاساطيرِ عطوفينَ بما يكفي لأعادتِه الى الحفرةِ، و ان لم يفعلوا هذا لوضعوا جبلاً عليه (كما يقولون بأن ايمانَهم يُحركُ الجبال) او ان يضعوه تحت جبل كما فَعَلَ أسلافُهم مِن اصحابِ الاساطيرِ، ليمنعوهُ من الاختلاطِ بالنساءِ، و اساءةِ التصرفِ.

لكن بدلاً من ذلكَ فإنهم تركوهُ طليقاً، حتى دونَ إلزامه بشروطِ الافراجِ عنه، والسر هو أنهم لا يستطيعونَ البقاءَ بدونِهِ. و بعدَ ما تورطوا في خَلقِهِ، ظلّوا يرشونه للبقاء، فوعدوه بكل اليهودِ، وكّلَ الأتراكِ بالتوقع، تسعة أعشارٍ من العالمِ على جانبٍ، ومُحَمّدٌ كجزءٍ من الصفقةِ. بعد ذلك، من يستطيعُ التشكيكَ في جَودِ الأساطيرِ المسيحيةِ.

وهكذا جعلوا تمرداً ومعركةً في السماءِ، والتي لا يُمكنُ لأيٍ من مقاتليها أن يُقتلَ أو يُصابَ، فوضعوا الشيطانَ في حفرةٍ ثُمَ تَرَكوهُ يَخرُجُ مرةً أُخرى – ليعطوهُ إنتصاراً على الخلق بأسرِهِ لاعناً البشريةَ جمعاءَ بتناولِهم التفاح.

هكذا ربَطَ أصحابُ الأساطيرِ المسيحيةِ طرفيَ الخُرافةِ معاً، فَهُم يُمَثلونَ هذا الرجلَ الفاضلَ الودودَ، يسوعَ المسيح، بكونِه انساناً تارةً و الهاً تارةً أُخرى، وأيضاً إبنَ الإله المُنجَبَ من السماءِ من أجل التضحيةِ، لأنهم يقولونَ أن حواءَ قد أكلت تفاحةً.

الفصل الخامس: تفحصٌ لتفاصيلِ الأُسس ألسابقة

وضعاً جانباً كُلَ ما قد يُثيرُ الضَحِكَ بسبب السخافةِ أو البُغضَ بسببِ الفِسقِ، و تكريسَ أنفسِنا فقط لتفحصِ الأجزاء، فإنهُ لمِنَ المُستحيلِ تَصُورُ قصةٍ أكثرُ اهانةٍ للقدير، أقلُ تناسقاً مع حِكمَتهِ، أكثرُ تناقضاً مع قوتهِ، من هذهِ القصة.

من أجلِ إستدامَتِها كان للمُخترِعِينَ الحاجةِ لإعطاءِ الكيانِ الذي يُسَمونَهُ الشيطانَ، قوةً مساويةً بمقدارٍ كبيرٍ، إن لم تَكن أكبرَ مما نسبوهُ للقديرِ. فلم يُعطوهُ فقط قوةَ تحريرِ نَفسِهِ مِن الحُفرة، بعد ما سَمُوهُ بإلسقوط، ولّكنَم ضاعفوا قُدرتِه بعدَ ذلك إلى ما لا نهاية.

قَبلَ هذا السقوط كانوا يُمثلونه كَملاكٍ محدود الوجودِ، كبقيةِ الملائكة. لكن بعد سقوطهِ، يُصبِحُ، حَسَبَ إدعائِهم، موجوداً في كلِ مكانٍ، محتلاً كاملَ مساحةِ الفضاءِ ايضاً.

و ما زالوا غيرَ راضينَ بهذا التأليهِ للشيطانِ، فإنهم يُمثِلونَهُ هازماً بحيلتِه بشكلِ حيوانٍ من الخلقِ، كُلَ قوةِ وحكمةِ القديرِ، ممثلين أياهُ على انه دَفَعَ القديرَ إلى ضرورةِ تسليمَ جميعِ الخليقةِ الى حُكمِ و سيادةِ الشيطانِ، أو الاستسلامِ من أجل خلاصهم بالنزولِ إلى الارضِ للتضحيةِ بنفسهِ على الصليبِ بهيئةِ أنسانٍ.

لو أن مخترعي هذه الخرافةِ كانوا قد سَرَدوها على العكس، ممثلينَ القديرَ مخيراً الشيطانَ بالتضحيةَ بنفسِهِ على الصليب بهيئةِ ثعبانٍ كعقاب له لكانت القِصةُ أقل تناقضاً و سخفاً. ولّكنهم بدلاً من ذلك جَعَلوا للمخالفَ انتصاراً، و للقديرِ سقوطاً.

إن العديدَ من الرجالِ الصالحينَ يؤمنونَ بهذه الخرافةِ، وعاشوا حياةً جيدة جداً في ظلِ هذا الاعتقادِ (فالسذاجةُ ليست بجريمةٍ)، هذا ما لا أشكُ فيه. ففي المقام الأول، قد تم تلقينُهم بأنْ يُؤمنوا بهذا، وكانوا سيؤمنونَ بأي شيءٍ آخرٍ قد لُقنوا به بنفسِ الطريقةِ.

وهناك أيضاً العديدَ مِمَن كانوا متحمسينَ جداً لتصورِ الحُبِ اللا محدودِ من قبل القديرِ في التضحيةِ بنفسه. لكن الحظرَ الفكريَ قد منعهم من النظر في عبثيةِ و بذائـةِ القصـة. فكلمـا كان الشيءُ غيرَ طبيعياً، كّلما كان أكثَـرَ قُـدرةً علـى أن يُصـبِحَ موضـوعاً للأعجـاب الكئيـب للأنسان.

الفصل السادس: عن اللاهوت الحقيقي

ولكن إن كانت الأُمورُ المثيرةُ للأعجابِ و الأمتنانِ هي غايتُنا، الا تتمثلُ كُلَ ساعةٍ أمامَ أعينِنا؟ الا نَرَى خلقاً عادلاً يَحتَوينا لَحظَةَ وِلادتنا، عالماً ملئ أيدينا، لا يكلفنا شيئا؟ هل نَحنُ مَن يضيءُ الشَمسَ، أو مَنَ يَصُبُ المَطَرَ، ويملئ الأرضَ خيراً؟ فسواء كُنا نياماً أم مُستيقضينَ، فإن الآلاتَ الواسعةَ للكونَ لا تزال تَمضي.

هل هذهِ الأشياءُ، وبركاتِها المُستقبليةَ، لا تعني لنا شيئاً؟ ألا يمكنُ لمشاعرِنا الإجماليةِ أن تتحمَسَ مِن قِبلِ أيِ موضوعٍ أخرٍ سِوى مواضيعِ المأساةِ والانتحارِ؟ أم أنَ الفخرَ الكئيبَ للأنسانِ اصبَحَ لا يطاقُ، لدرجةِ أن لا شيء يُمكنُ أَن يُرضيَهُ سِوى تضحيةِ الخالقِ؟

أنا أعلم أن هذا التحقيقَ الجريءَ سوفَ يُفزِعُ الكثيرِ، ولّكن ذلكَ مِن شَأنه أن يُظهِر لّهم مدى السذاجةِ التي يَحملونها على عاتِقِهم، ان الزمنَ و الامرَ يتطلبانِ ذلك.

الشَكُ في أَن نظريةَ ما يُسمى بالكنيسةِ المسيحيةِ كونُها خرافةً أصبح واسعاً جداً في جميعِ البلاد؛ وسيكونَ سلوىً للناسِ الذينَ يَشِكونَ في ما يُصَدِقونه وما لا يُصَدقون، رؤية الموضوعِ يُختبر بحريةٍ. ولذلكَ، فإنني أَتقَدَمُ لدراسةِ الكتُبِ الّتي تُسمى بالعهد القديمِ و العهدَ الجديد.

الفصل السابع: عن العهد القديم

هذهِ الكتب، بدءاً من سفرِ التكوين و انتهاءً مع الرؤيا (جمعاً هي كتب الألغاز التي تتطلب وحياً لشرحها)، هي كما يقال لنا كلمة الرب. ولذلك، فمن السليم أن نعرف من قال لنا ذلك، لكي نقررَ اعطاءَ مصداقيةِ لهذه الاخبار.

الجواب على هذا السؤال هو أن لا أحدَ يستطيعُ القول، سِوى إننا قَد اخبرنا بعضنا البعض بذلك. ومع هذا، تاريخياً يبدو الامرُ كما يلي: عندما أسَسَ أصحاب الأساطير الكنسية نِظامَهم، فإنهم جمعوا كل الكتاباتِ التي استطاعوا ايجادَها و قاموا بإلتصرف بها كما يحلو لهم.

إنها لمسألة عدمَ يقينٍ بالنسبةِ لنا كونَ هذهِ الكتاباتِ كما تظهر الآن تحت اسم العهد القديم والجديد هي في نفسِ الحالةِ التي يقالُ ان جامعيها قد جَمَعوها، أو ما إذا كانوا قد اضافوا اليها، أو غيروها، أو لخصوها، أو البسوها.

فقد قرَرَوا بالتصويتِ على أيٍ مِنَ الكتب التي صنعوها تصلح أن تكون كلام الرب، و أيً منها ما لا يصلح. فرَفَضوا عدةً؛ وصوتوا لآخرين بأن يكون مشكوكاً بهِم، مثلَ الكتاب الذي يُسمى أبوكريفا؛ الكتب التي اخذت غالبَ الأصواتِ، قُرِرَت أن تَكونَ كلمةَ الرب.

و لو إنهم صوتوا خلافاً لذلكَ، لآمن كُلَ الناسِ الذينَ يطلقونَ على أنفُسِهم المسيحيين خلاف ذلك. ذلكَ بأنَ أيمانَ شخصٍ يأتي من تصويت الآخر.

أياً كان من فعلَ كُلَ هذا فنَحنُ لا نَعرِفُ شيئاً عنهم سِوى أنهم أطلقوا على أنفُسهم اسم الكنيسةِ، وهذا كل ما نَعرِفَهُ عن هذه المسألة. كما انه ليس لدينا أي دليلٍ خارجيٍ آخر أو سُلطةٍ أُخرى للايمان بهذه الكتبِ على انها كَلمَةُ الربِ سِوى ما تم ذِكرَهُ، وذلك لا يُمثِلُ دليلاً أو سلطةً على الإطلاق.

فمضيتُ في الموضعِ التالي، لتفحصِ الأدلةِ الداخليةِ الواردةِ في الكتبِ نَفسِها. لقد تحدثت عن الوحي في مكانٍ سابق في هذا الكتاب؛ أنا أمضي الآن بهذا الموضوع، بغرضِ تطبيقهِ على الكتبِ المعنيةِ.

الوحيُ هو تواصلٌ من شيء ما الى شخص يُكشَفُ له عن ما لم يُعرَفَ من قبل. إذا كُنتُ قد فَعلتُ شيئاً، أو رأيت أحداً يقومُ به، فإنه لا حاجةَ لوحيٍ يخبرني أني قد فَعَلتُ ذلك، أو رأيتُ ذلك، ولا حتى ليُسمَحَ لي أن أقولَ او اكتبَ ذلك. وبالتالي، لا يُمكنُ تطبيقُ الوحي على أي شيء قد تَم القيام به على الأرضِ، حيثُ يكونُ فيهِ الأنسانُ هو الفاعلُ او الشاهد.

وبالتالي كلُ الأجزاءِ التاريخيةِ والقصصيةِ مِنَ الكتابِ المُقدسِ، التي تكاد ان تُشكلَ أجمَعَهُ، ليست ضِمنَ المعنى والبوصلةِ الخاصةِ بكلمةِ الوحي، وبالتالي، ليست كَلِمةَ الرب.

عندما هرَبَ سامسون من بواباتِ غزة، إذا حدثَ ذلكَ منذُ أي وقتٍ مضى (و ان كان قد فعل أم لم يفعل فلا شأن لنا به)، أو عندما زار دلايلا، أو امسَكَ ثَعالِبَهُ، أو فَعَلَ أي شيءٍ آخر، ما علاقةُ الوحيِ بكلِ هذا؟ إذا كانت حقائقً، لقال ذلك بِنفسِه، أو لقامَ بذلك سكرتيره، إن كانَ لديه أحَدٌ يمكنُ أن يكتُبَ لَهُ، إن كانت تَستَحِقُ الإخبارَ أو الكتابةَ؛ وإذا كانت من الخيالِ، فالوحيُ لا يمكنُ أن يجعلَها حقيقةً. وعما إذا كانت حقيقةً أم لا، فنحنُ لسنا بأفضلَ حالاً ولا اكثرَ حكمةً بمعرفَتِنا لها.

وعندما نُفكرُ في عظمةِ الـذي يُـوجهِ ويَحكـمُ الكـونَ ككـلٍ، الـذي لا يسـتطيعُ البَصَـرَ ادراكَ سِوى جُزءٍ ضئيلٍ مِنهُ، يَجِبُ أن نَشعُرَ بالخَجَلِ مِن تَسميةِ مِثل هكذا قصص كَلمةَ الرب.

أما عن حسابِ الخلقِ، الذي يفتتحُ به كتابُ سفرِ التكوين، يحتوي كُلَ مظاهرِ التقاليدِ التي حَمَلَها الإسرائيليونُ بينَهُم قبلَ أن يأتوا إلى مصر. و بعدَ رحيلِهم عن ذلكَ البلد وضعوهُ فـي مُقدمةِ التاريخِ، دون ذِكرِ أَنَهُم لَم يَعلَموا كيفَ أتوا بها (على الغالب).

طريقةُ افتتاحيةِ البيانِ تبدو تقليديةً. وتبدأُ فجأةً؛ لا أحد يتحدثُ و لا أحد يسمعُ و ليستْ موجهةً لأحد. ليـسَ فيهـا شَـخصٌ اول و لا ثـانٍ و لا ثـالث. إنهـا تحمـلُ كُـلَ معـايير كونهـا تقليداً؛ فلا يوجدُ لها مستندٌ. و موسى لا يأخذُ على عاتقه إدخالَها بالشكلِ الـذيِ يسـتخدمهُ في مناسباتٍ أُخرى، مثل أن يقول: "الرب يُحدثُ موسى، قائلاً ".

أني لفي حيرةٍ لمَ سُميَ هذا بمبدأ الخليقةِ لموسى، أعتقدُ ان موسى كان أكـثر حكمـةً فـي هذا الموضوع من ان يضَعَ إسمَهُ عليهِ. فقَد تَلَقـى تعليمَـهُ بيـنَ المصـريين الـذينَ كـانوا مـن ذوي المهارةِ في العلومِ، وخاصة في علم الفلك، مِثلَ أيِ شعبٍ آخر فـي زَمـانِهِم؛ و الصـمتُ والحَذَرُ الذي اخذهُ موسى في عدمِ المُصادقةِ على هذا البيان هو دليلٌ سلبيٌ جيد على إنهُ لم يَقُل ذلَكَ ولم يؤمن به.

أن القضيةَ هيَ إن كُلَ أمةٍ مِنَ الناسِ كانواصناعً للعـالم وكـذلكَ كـان لإسـرائيلُ الحـقُ فـي إقامـةِ ممارسـةِ ذلـكَ كالبقيـة. و بمـا أنَ موسـى لـم يكـن إسـرائيلياً، فأختـارَ أن لا ينـاقض التقليد. ومع ذلك، فإن البيانَ غيرَ مـؤذيٍ. وهـذا هـو أكـثرُ ممـا يمكـنُ أَن يقـالَ علـى أجـزاءٍ أُخرى كثيرةٍ من الكتابِ المقدسِ.

كلما قرأنا القصصَ الفاحشةَ، والفسوقَ الشهواني، وحالاتِ الإعدامِ القاسيةِ والتعذيبِ، والانتقامِ الصارمِ الذي يملئُ أكثرَ مِن نصفِ الكتابِ المقدسِ، فإنهُ لن تكونَ تسميتها كَلِمَةَ شيطانٍ أقلَ تناسقاً عَوضاً عَن كلمةَ الرب.

إنهُ تاريخُ الشرِ، الذي أدى إلى فسادِ ووحشيةِ البشريةِ؛ و انا بدوري أبغضُهُ بصدقٍ، و أكرهُ كُلَ ما هو قاسٍ. فنحنُ نادراً ما نجدُ شيء يستحق إلأهانة او الازدراء، الا عند تناولِنا للكتابِ المقدسِ، عدا بعض العبارات منه.

ففي المنشورات المجهولة، والمزامير، وكتاب العمل، وعلى الأخص في هذا الأخير، نجد الكثير من المشاعر المرتفعة المُعبرُ عنها بصورةٍ تعبيريةٍ عن القوةِ والحماسةِ الآلهية. لكنها لا تقِفُ في منزلةٍ أعلى من العديد من التراكيب الأخرى، في مواقف و مواضيع مماثلة، قد سبقتها منذ ذلك الحين.

الأمثالُ التي يقالُ أن سليمانَ قد ألفها، على الرغمِ مِن أنه تمَ تجميعُها على الأرجح (لأنها تكشف معارفً عن الحياةِ لا يُمكنُ له معرفتها) هي قائمةٌ من الايعازاتِ الاخلاقيةِ التي هي اقلُ فِطنةً من أمثال الإسبان، وليست بأكثرَ حِكمةٍ أو انفعَ اقتصاديةٍ من تلكَ التي اتى بها فرانكلين.

جميعُ ما تَبقّى من الكتابِ المقدسِ، والمعروفةِ عموماً باسماءِ الأنبياء، هي أعمالُ الشعراءِ اليهودِ والدعاةُ المتجولينَ، الذينَ خَلَطوا الشِعرَ، والحكاياتَ، والتفانيَ معاً، وهذه الأعمالُ لا تزالُ تحتفظُ بهوى ونمطٍ شعريٍ، وإن كانت في الترجمة.

"اسمعي يا سماء، و أنصتي يا أرض"

"هنا الرب بنفسه يطلب الانتباه"

مثال آخر أقتبسه من إرميا الحزن، و عَليهِ أضيفُ سَطرينِ آخرينِ، لتبيين نية الشاعر.

"يا، لرأسي من المياه و يا لعيني"

"كالينابيع التي كسائل السماء تجري"

"و بعدها سأفرج بقوة عن الفيضان"

"و أبكي على طوفان عرق الانسان"

ليسَ هُناكَ، في جميع أنحاءِ الكتابِ الذي يُدعى بالمقدسِ، أيَ كَلمةٍ تَصِفُ لنا ما نُسميِه الشاعر، ولا أيَ كَلِمةٍ تَصِفُ ما نُسَميهِ الشِعرَ. والقضيةُ هيَ، أن كلمةَ النبي، والتي قد اضافت فِكرةً جديدةً في وقتٍ لاحق ، كانت وصفَ الكتابِ المقدسِ للشاعر، وكَلمةَ التنبؤ تعني فَن صُنعِ الشعرِ. كما أنها تعني فن إلقاءِ الشعرِ على لحنِ أيِ اداةٍ من ادواتِ الموسيقى.

لقد قرأنا عن التنبؤ بالمزمايرِ، بالطبولِ، و بالابواقِ، و عن التنبؤ بالقيثارةِ، بالربابِ، بالصنجِ، و كل الادواتِ الموسيقيةِ الاخرى المتعارفِ عليها آنذاك. لو كُنا نَتَحدَثُ الآن عن التنبؤِ بأستخدامِ الكمانِ، او الطبلِ و العصا، لظَهَرَ التعبيرُ بلا معنيٍ، او لبدى سخيفاً، بل سيبدو ازدراءً لبعضِ الناسِ، ذلكَ بأننا قد غيرنا معنى الكلمة.

قد قيلَ لنا أن شاؤول كان مِن الأنبياءِ، وأيضا أنهُ قد تنبأ. ولكننا لَم نُخبر بما تنبأ، ولا ما تنبؤوا هم به. القضيةُ هيَ أنَهُ لَم يكنْ هناك ما يقال لأن هؤلاءِ الأنبياءِ كانوا من الموسيقيينَ والشعراءِ، وإنضم شاؤولُ الى الحفلِ، وكان ذلك يُسمى النبوؤة.

البيانُ المعطى لهذهِ القضيةِ في كتاب يُدعى صموئيل، أن شاؤول التقى بمجموعةٍ من الأنبياءِ. مجموعةٍ بأكملها مِنهم! حاملونَ سنطوراً، وطبلاً، ومزماراً، وقيثارةً، وأنهم تنبأوا، وأنه قد تنبأ معَهُم.

ولكن يبدو بعدَ ذلك، أن شاؤولَ قَد تنبأ بصورةٍ سيئةٍ، و كان يؤدي دورهُ بصورةٍ سيئةٍ. لأنهُ يقالُ بأن "روحاً شريرةً من الربِ قد حلّت على شاؤول، وقد تنبأ".

الآن، لا يوجدُ أي مقطعٍ آخرٍ في الكتابِ المسمى بالمقدس، لإثباتِ لنا أننا قد فقدنا المعنى الأصليَ لكلمةِ النبوؤةِ، واستبدلناها بمعنىً آخر، لكان هذا وَحدُه كافياً؛ لأنه من المستحيلِ استخدامِ وتطبيقِ كلمةَ النبوؤة في المكانِ المُستخدمِ هنا وتطبيقها بالمعنى الذي الصقناهُ بها في وقتٍ لاحقٍ.

الطريقةُ التي تمَ إستخدامُها هنا تَنسَلِخُ عن كُلِ معنيٍ ديني، بأنَ رجلاً قد يكونُ نبياً، أو قد يتنبأ، لأنه قد يكونُ الآن شاعراً أو موسيقاً، دونَ أي اعتبارْ لأخلاقِ أو عدمِ اخلاقِ شخصيتهِ. ولكنَ الكلمةَ في الأصلِ مُصطلحٌ علميٌ، وتم تطبيقُها بِشكلٍ مشوشٍ في الشعرِ والموسيقى، وليست مقيدةً بأي نوعٍ من الشعرِ او الموسيقى التي تمارس.

لقد سُميوا ديبورا وباراك أنبياءً، ليس لأنهم تنبأوا بأي شيءٍ، ولكن لأنهم قد الفوا قصيدةً أو أغنيةً تحملُ اسمائَهم، احتفالاً بعملٍ قد أُنجزَ. يعتبر داود من الأنبياءِ، لأنهُ كان موسيقياً، وكانت له سُمعةً (على الرغم من مدى عدم صحتها) بأنه مؤلفُ المزاميرِ. لكن إبراهيم، إسحاقَ، ويعقوبَ لا يسمونَ أنبياءً. فإنه لا يظهر من أي البيانات لدينا، أنهم قد غنوا او عزفوا الموسيقى، أو الفوا الشعر.

لقد أُخبرنا عَن الأنبياء الاعظم شأناً و الادنى. لذلك قد يخبروننا عن الاربابِ الاعظمُ و الادنى شأناً. لأنهُ لا يُمكنُ أن تَكونَ هُناكَ درجاتٌ في التنبؤ بأستمرار بالمعنى المعاصر. ولكن هناك درجات في الشعر، وبالتالي فإن العبارة قابلة للتوفيق مع القضية، عندما نفهم بها الشعراء الاعظمُ و الادنى.

ومن غير الضروري تماماً، بعد ذلكَ، تقديمُ أي ملاحظاتٍ عن ما كتبَهُ هؤلاء الرجالِ الأنبياءِ . فالفأسُ يَذهَبُ مرةً واحدةً إلى الجذرِ، من خلالِ إظهارِ أن المعنى الأصلي للكلمة كان مُخطئاً، وبالتالي فكل الاستدلالاتِ التي تم استخلاصُها من تِلكَ الكتب، والاحترامُ التعبديُ الذي تم دفعها لهم، والتعليقاتِ الشاقةِ التي قد كُتبث عَنهُم تحت هذا المعنى الخاطِئ لا تستحقُ الجدال. ومَعَ ذلكَ، في مناسباتٍ كثيرةٍ تستحقُ كتاباتُ الشعراءِ اليهود مصيراً أفضلاً مِن كونها ملزمةً، كما هي الآن، مع القمامة التي ترافقها، تحتَ أسم كلمة الربِ المساءُ اليها.

وإذا سمحنا لأنفُسِنا بأَن نَتَصورَ أفكاراً صحيحةً للأشياء، يَجِبُ أن نضَعَ بالضرورةِ فكرةً غيرُ قابلية التغييرِ، و من المستحيلِ مطلقاً لأي تغييرٍ أن يحدث لها بأي وسيلةٍ أو حادثٍ مهما كان، فنُكرِمُها بتَسميتِها كَلِمةَ الرب. وبالتالي فإن كلمةَ الرب لا يمكنُ أن توجد في أي لُغةٍ مكتوبةٍ أو إنسانيةٍ.

إن التغييرَ التدريجيَ المُستمرَ الذي تخضعُ لَهُ معاني الكلمات، وضرورةِ وجودِ لغةٍ عالميةٍ تجعلُ الترجمةَ ضروريةً، والأخطاءُ التي تخضعُ لها الترجماتُ مرة أخرى، وأخطاءُ النسخِ والمطابعِ، إلى جانِبِ إمكانيةِ التغيير المتعمدِ، تُثبتُ أَن لُغةَ الإنسانِ، سواءً في الكلام أو في الطباعةِ، لا يُمكنُ أن تَكونَ وَسيلةً لكلمةِ الربِ. كلمةُ الربِ موجودةً في شيءٍ آخر.

و حتى لو كانَ الكتابُ المسى بالمقدس متفوقاً في نقاءِ الأفكارِ والتعابيرِ عن الكتُبِ الموجودةِ الآن في العالم، لَن أُسلمَ بكونِهِ كلمة الربِ. لأن الاحتمالَ لن يكونَ أبداً أقل من فرضيةٍ. ولكن عِندما أرى في الجُزءِ الأكبرِ مِن هذا الكتابِ تاريخاً من الرذائلِ الأكثرَ جُرأةً، ومجموعةً من الحكاياتِ الأكثرَ تِكراراً وازدراءً، فلا يُمكنُ أَن أُقللَ مِن شأنِ خالقي بتسمَيتي هذا بإسمهِ.

الفصل الثامن: عن العهد الجديد

سأتطرقُ الآن إلى الكتابِ الذي يُسمى بالعهدِ الجديدِ. العهد الجديد! هذا كل ما هناكَ، الإرادةُ الجديدةُ، كما لو كان هناكَ ارادتانِ اثنتانِ للخالقِ. لو كان هدَفَ أو نيةَ يسوعَ المسيحَ إقامةً دينٍ جديدٍ، فإنهُ بلا شك كانَ سيكتُبُ النظامَ بنفسِهِ، أو يجعله يُكتَبُ في حياتِهِ. ولكن لا يوجدُ منشور موثقٌ مصحوبٌ بإسمهِ. فَقَد كُتِبَتْ كُلُ الكُتُبِ التي تُسمى العهدَ الجديد بعدَ وفاتِه. كان يهودياً بالولادةِ والمهنةِ؛ وكان إبن الربِ بالطريقةِ التي كُلُ شخصٍ آخر كذلك؛ لأن الخالقَ هو أبُ الجميع.

الكتُبُ الأربعة الأولى، متّى، مُرقُص، لوقا، ويوحنا، لا تروي حياةَ يسوع المسيح، ولكن فقط حكاياتٍ مُنَفَصِلةٍ عَنهُ. ويبدو من هذِه الكتبِ أن الوقتَ كله من كونِه واعظاً لم يَكن أكثَرَ من ثمانيةَ عشر شهراً. ولم يَكن لهؤلاءِ الرجالِ عِلمٌ به إلا خلال هذهِ الفترةِ القصيرةِ.

يَقولونَ أنه كان يجلس بين الأطباء اليهود، في سن اثني عشر عاماً، يسألُ و يجيبُ عن أسئلتِهم. كان ذلكَ قَبلَ عدةِ سنواتٍ مِن بدأ معرفتِهم به، فمِنَ الأكثرَ أنهم قد سَمِعُوا هذه الحكايةَ من والديهِ، ومنذُ ذلكَ الحينِ لا يوجدُ أيُ بيانٍ عنه لمدةِ ست عشر عاماً.

أينَ كانَ يسكنُ، أو كيف كَسَبَ عيشهُ خلال تلك الفترةِ هُما أمرانِ غيرِ معروفين. على الأرجح كانَ يعملُ في مهنةِ والدِه، وكانت تلَكَ النجارةَ. لا يبدو أنهُ كان لديهِ أيُ تعليمٍ

مدرسي، و الغالبُ أنه لا يستطيعُ الكتابةَ، لأن والديه كانوا فقراءً للغايةِ، كما يبدو من عـدمِ استطاعَتِهم دفَعَ ثمنَ السريرِ عند ولادَتِه.

ومنَ الغريبِ إلى حدٍ ما أن الأشخاصَ الثلاثةَ الذينَ أشتهَرت أسماؤهُم على نطاقٍ عالميٍ هم من أُبوةٍ غامضةٍ جداً. كان موسى لقيطاً، ووُلِدَ يسوع في حظيرةٍ، و كان مُحمدٌ سائقاً للبغالِ. كان اولُهم و اخُرهم مؤسسينَ لأنظمةٍ مختلفةٍ من الدينِ، لكنَ يسوعَ لم يأتِ بنظامٍ جديدٍ، لقد دعا الى مكارمِ الاخلاقِ، و الايمانِ بربٍ واحدٍ، ما مَيَزَهُ هيَ شخصيتُه الانسانية.

وتبينَ مِنَ الطريقةِ الّتي أُلقيَ القبضُ عليه أنه لم يَكن معروفاً آنذاك؛ ويُظهِرُ أيضاً أن الاجتماعات التي عقدها معَ أتباعِه كانتْ سريةً؛ وإنهُ أمتَنَعَ أو علّقَ الوعظ علناً. لم يكن ليهوذا أن يخونَهُ إلا مِن خلالِ إعطاءِ معلوماتٍ عَن مكانهِ دالاً الضباطَ الذينَ ذَهَبوا لاعتقاله؛ وسبَبَ توظيفِ ودفعِ يهوذا للقيام بذلك يمكنُ أن يَنشَأَ فقط من الأسباب التي سَبَقَ ذِكرُها، أنه لم يكن معروفاً كثيراً، و كانَ يعيش في تخفيٍ.

إن فكرةَ إخفائهِ لا تتناقضُ فقط مع ألوهيتِهِ، ولكن يرتبطُ بها شيئاً من الجبنِ أو الخيانةِ بعبارة أخرى، فالقاءُ القبضِ عليهِ بناءً على معلوماتِ أحد أتباعه يدل على إنه لم يكن ينوي ان يَتِمَ القَبضُ عليهِ، وبالتالي فأنَهُ لم ينوِ أن يُصلَبَ كما يُخبُرنا اصحابُ الأساطير المسيحيةِ بأن المسيح قد ماتَ بسببِ خطايا العالم، وأنهُ جاءَ بغرض الموتِ. ألم يكن عندئذٍ نفس الشيء لو انه قد ماتَ مِنَ الحُمى أو الجدري أو الشيخوخةِ أو أي شيءٍ آخر؟

إن الحُكمَ الذي أُطلق على ادم بأكله التفاح، كان الموت و لكن لم تكن الصَلبَ بالتأكيد، فكان الحكمُ هو الموتُ و ليس طريقةُ الموتِ، وبالتالي الصلبُ، أو أي طريقةٍ أخرى معينةٍ من الموت، لم تكن جزءً من الحكمِ الذي يعانيه آدم وبالتالي، حتى على ترتيبهم الخاص، فإنه لا يُمِكنُ أن تَحِلَ معاناةُ المسيحِ بدلاً لعقوبةِ آدم. فقد تفعلُ الحُمى ما يفعلُه الصَلبُ، إذا كان هناك من داعٍ لأيٍ منهما.

عقوبةُ الموتِ هذِه، التي، كما يقولون لنا، قد تم تمريرُها على آدم، لا بُد ان تعني اما الموتَ بشكلٍ طبيعي، الذي هو، التوقُفٌ عَنْ العيشِ، أو يعني ما يسميهِ اصحابُ الأساطيرِ بالأدانة؛ وبالتالي، فإن الموتَ مِن جانب يسوع المسيح، يجبُ، وفقا لنظامهم، أن ينطبقَ كوقايةٍ لأحد هذينِ الأمرين التي تحدث لآدم ولنا.

أن عدم منعه للموت هو امرٌ واضحٌ، لأننا جميعا نموت. وإذا كانت حساباتهم لطول العمرِ صحيحةً، فإن الاشخاصَ الذينَ يموتونَ بشكلٍ أسرع مُنذُ الصلب عن ما قبله؛ وفيما يتعلق بالتفسير الثاني، (بما في ذلك الموت الطبيعي ليسوع المسيح كبديل عن الموت الأبدي أو أدانة الخليقة بأجمعها)، فهو يمثلُ الخالقَ بشكلٍ قاطع على إنه يخرج عن، أو يُلغيَ العقوبةَ، عن طريق التلاعبِ بكلمةِ الموتِ.

صانعُ هذا التلاعب الكلامي، القديسُ بولس، إن كان قد كَتَبَ الكتبَ التي تَحمِلُ إسمه فعلاً، قد ساعد هذا التلاعب عن طريقِ تلاعبٍ آخر بكلمة آدم. انه يجعلُ اثنينِ مِن آدم. الاول الذي يُخطئ في الواقع، ويعاني بالوكالة؛ والآخرُ الذي يخطئُ بالوكالةِ، ويعاني في الواقع. وهكذا فإن الدين الذي يتداخل معَ الخداعِ والحيلةِ و الاحاجي يميلُ إلى توجيهِ أساتذتهِ في ممارسةِ هذهِ الفنون. إنَهُم يَكتَسبونَ هذهِ العادةَ دون أَن يكونوا على بينةٍ من السبب.

إذا كان يسوع المسيح هو الكائنُ الذي يُخبِرُنا عَنهُ أصحابُ الأساطير، وأنه جاءَ إلى هذا العالم ليعاني، وهي الكلمة التي يستخدمونها أحياناً بدلاً عن الموت، فإن المعاناةِ الحقيقيةِ الوحيدةِ التي كان قد تحمَلَها هي العيش. وكان وجوده هنا حالةً من المنفى أو النقل من السماء، وكانَ الطريقُ إلى وطنهِ الاصليُ هو الموت. في النهاية، كُل شيءٍ في هذا النظامِ الغريبِ هو عكسُ ما يدعي أن يكونَ عليهِ. إنهُ عكسُ الحقيقةِ، وأصبحتُ مُتعباً جداً من

النظر في تناقضاتِها وسخافاتِها، وأنني سأسارعُ إلى اختتامها، من أجلِ المضي قُدماً نحوَ شيءٍ أفضل.

كم، أو أي جزء من أجزاء الكتب التي تسمى بالعهد الجديد، ان كانت مكتوبةً فعلاً من قبل الأشخاص الذين تحملُ أسماؤهم، هو ما لا يمكنُنا الآن معرفتهُ، ولسنا متأكدينَ من اللغة التي كُتِبَت بها اصلاً. ويُمكنُ أن تُصَنَفَ المسائلُ التي تحتوي عليها الآن في صنفينِ: الحكايات، والمراسلات المسرحية.

الكتُبُ الأربعةُ التي سُبِقَ ذِكرُها، متّى، مُرقُص، لوقا، ويوحنا، هي قصصيةٌ تماماً. وهي تتصل بالأحداثِ بعد وقوعِها. يقولون ما فَعَلَهُ يسوعُ المسيحُ وما قالَهُ، وما فعله الآخرون وقالوهُ؛ وفي حالاتٍ عديدةٍ تصف الحدث نفسهُ بشكلٍ مختلفٍ. الوحيُ لا بُدَ أن يكونَ خارجَ الاعتبارِ من المسألةِ فيما يتعلقُ بتلك الكتبِ؛ ليسَ فقط بسبب اختلافاتِها، ولكن لأن الوحي لا يُمكنُ أَن يُطبَقَ على الوقائعِ المتعلقةِ بالأشخاصِ الذينَ رأوا هذهِ الوقائع، ولا على صلةٍ أو تسجيلٍ لأي خطابٍ أو محادثةٍ من قِبلِ أولئك الذين سمعوها. الكتابُ المسمى أعمال الرسل (عملٌ مجهول) ينتمي أيضا إلى الجزء القصصيِ.

جميع الأجزاءِ الأُخرى مَنَ العهدَ الجديدِ، باستثناءِ كتابِ الألغازِ، المسمى الوحي، هي عبارةٌ عن مجموعةٍ من الرسائلِ تحت أسمِ المراسلاتِ. وتزويرُ الرسائلِ كانَ مِنَ الممارساتِ الشائعةِ في العالم، إنَ احتمالي كونِها حقيقيةً أم مزورةً هما متساويانِ على الأقل . إلا أن هناك شيئاً واحدا أقَلَ مساواةٍ، أي أنه من بين المسائل الواردة في تلك الكتبِ، جنباً إلى جنب مع بعض القصص القديمة، قد أنشأت الكنيسةُ نظاماً دينياً متناقضاً جداً مع شخصيةِ الشخصِ الذي يحملُ إسمه. فقد أنشأت ديناً من الارباح و الإيراداتِ في التقليدِ المزعومِ لشخصٍ كانت حياتُه التواضعُ والفقر.

اختراعُ العذابِ، وتخليصُ النفوسِ مِنهُ عن طريـق الصـلوات أشـتُريَ مـن الكنيسـة بالمـال. وتم بيع العفوِ، والتسـوياتِ، والتسـامح، هـذه هـي قـوانين الإيـرادات، دون ان تحمـلَ هـذا الاسمَ أو تحملَ هذا المظهر. ولكنَ القضية أن تلك الأشياء تستمد أصلها مـن فكـرة الصَـلبْ، والنظرية التي نَتَجـتْ منهـا هـي أن شخصـاً يمكـن أن يَحـلَ محـلَ آخـر، ويمكـنُ أن يـؤديَ خدماتٍ جديرةٍ له.

وبالتالي، فإن إحتمالَ كونَ نظرية أو مذهب ما يسمى الفداء (الذي يقال أنه قد تم إنجـازه من قبل شخص في محل شخص آخر) كان في الأصل ملفقاً عمداً مـن أجـل المضـي قُـدماً لبناءِ جميعِ تلكَ الايراداتِ الماليةِ؛ وإن المقاطعَ في الكتب الـتي بُنيَـت عليهـا فِكـرة نظريـة الخلاص، تم تصنيعُها لهذا الغرض.

ولماذا نعطي هذا الائتمان للكنيسة عندما تخبرنا أن هذه الكتب حقيقية في كل جزءٍ جنباً الى جنب مع أي شيءٍ اخر أخبرتنا به؛ أو للمعجزات التي تقول أنهـا قـد حصـلت؟ أمكانيـة تلفيقها للكتب شيءٌ مؤكدٌ لأن الكتُبَ يُمكنُ أن تُكتَـبَ. و الكتابـات المعنيـةُ مـن هـذا النـوع يُمكن لأي شخصٍ كتابَتُها؛ و احتمالُ صنعها لهـذهِ الكتـبِ ليـس اقـل أنسـجاماً مـع أدعاءهـا بأنها قد صنعت المعجزات.

ومنذ ذلكَ الحينِ، لا يُمكنُ أن تُنتجُ أي أدلةٍ خارجيةٍ، عبر هـذه المسـافات الزمنيـةِ الطويلـةِ لإثبات ما إذا كانت الكنيسة قد خَلَقَتْ المذهب المسـمى بالفـداءِ أم لا، (لهـذه الأدلـة، سـواء مع أم ضد، سوف تخضع لنفس الشكوك في كونها ملفقة) لا يمكن إلا أن تشير القضية إلـى الأدلةِ الداخليةِ التي يحملها الشيءُ نفسهُ؛ وهذا يُعطي افتراضاً قوياً جداً في كونه تلفيقـاً. فالأدلة الداخلية لنظرية أو مبدأ الخلاص تَستَنِدُ إلى أساس العدالة المالية وليسـت العدالـةُ الأخلاقيةُ.

إذا كنتُ مديناً لشخصٍ مبلغاً من المالِ، ولا يمكنُني دفعه له، وهّدَدَ بوضعي في السجن، يمكنُ لشخصٍ آخرٍ أّن يأخُذَ الدين على نفسهِ، ويدفعُه بالنسبة لي. ولكن إذا أُرتكبت جريمةٌ، يتم تغيير كل ظرف من الظروف. إن العدالةَ الأخلاقية لا يُمكن أن تأخذ بأدانة الأبرياءِ ومحاسبتهم حتى لو كان الابرياءُ يقدمونَ أنفسهم لذلكَ. إن افتراض قيامَ العدالةِ بذلك، هو تدميرٌ لمبدأ وجودِها. ومن ثم لم تعد عدلاً. إنه انتقامٌ عشوائيٌ.

وسيظهِرُ هذا التفكيرُ الفرديُ أن مبدأ الفداءِ يقوم على فكرةٍ ماليةٍ مقابلةٍ لفكرةِ دَينٍ قد يسددهُ شخصٌ آخر؛ وبما أنَ هذهِ الفكرةَ الماليةَ تتوافقُ مرة أخرى مع نظام الاسترداد الثاني، الذي يَتمُ الحصولُ عليه من خلالِ وسائلِ جمع المالِ التي تعطى للكنيسةِ بغرضِ العفوِ، والاحتمال هو أن نفس الاشخاص الذين لفقوا واحداً قد لفقوا الآخر من تلك النظريات. وأنه، في الحقيقةِ، ليس هناكَ شيءٌ يسمى بالخلاص. أنه خرافة. والانسان يقف في منزلة من خالقهِ كأي وقت مضى منذ وجودهِ. دعه يصدق هذا، وانه سيعيش أكثر اتساقا وخلقاً، من أي نظام آخر.

اما أن ينظر إلى نفسه كخارجٍ عن القانون، منبوذٍ، او متسولٍ، كما انه قد القيَ من على تلٍ، على بعدٍ هائلٍ من خالقهِ، ويجبُ ان يَتَخِذَ الزَحفَ نهجاً، متوسلاً إلى الكائناتِ الوسيطةِ، فأنه سينتج اما تجاهلاً مزدرياً لكلَ شيءٍ تحت اسم الدين، أو يصبحَ غير مبالٍ، أو يتحول الى ما يسمونه ورعاً. في هذه الحالة الأخيرة، يَستَهلِكُ حياتَهُ في الحزنِ، أو التظاهرِ به. صلاتُه هي اللوم. تواضعُه هو عدم الامتنان. ويدعو نفسه دودةً، والأرض الخصبة تلاً. انه يحتقر خيرَ هديةً من الربِ الى الإنسان، هدية العقلِ. وبعد أن سعى إلى إجبارِ نفسهِ للإيمان النظام الذي يثور عقلهُ ضِدَهُ ، فيسميه بالعقل البشري باطلاً، وكأن الرجل يمكنُ أن يعطيَ لنفسهِ عقلاً.

ومعَ ذلكَ، مع كُلِ هذا المظهرِ الغريبِ من التواضع، وهذا الازدراء للعقل البشري، فانه يخوضُ في افتراضاتٍ جريئةٍ. انه يجدُ خطأً في كلِ شيءٍ. أنانيته غير راضيةٍ أبداً. يأخُذُ على عاتِقِهِ توجيهَ الربِ الى ما يجب القيام به، حتى في حُكمِ الكون. يُصليَ بطريقةٍ ديكتاتوريةٍ. عندما يكون الجوُ مُشمساً فإنه يصلي للمطر، وعندما يكونُ مُمطراً فأنه يصلي من اجل الشمس. ويتبع نفس الفكرة في كل ما يصلي لأجلهِ. في كل مدى صلاتهِ، لكن محاولةَ جعل الربِ تغييرَ رأيهِ، والتصرف خلافاً للطريقة التي يتصرف بها؛ كما لو انه يقول له انك لا تَعلمُ كما اعلمُ انا.

الفصل التاسع: عن ما يحتويه الوحي الحق

ولكن البعض ربما يقول - أليس لدينا أي كلمةٍ من الرب – الا يوجد وحيٌ؟ أنا أجيب نعم. هناكَ كلمة من الرب. هناك وحيٌ. كلمةُ الربِ هي الخلق الذي نراهُ؛ هذه الكلمة التي لا يمكن لاختراع بشري تزويرها أو تغييرها، أن الربَ يتكلمُ عالمياً للإنسانِ.

فاللغة البشريةُ محليةٌ وقابلةٌ للتغييرِ، وبالتالي فهي غير قابلةٍ للأستخدامِ كوسيلةٍ لطرحِ المعلوماتِ العالميةِ الغير قابلة للتغيير. الفكرةُ القائلةُ بأنَ الربَ أرسلَ يسوعَ المسيحَ لنشرِ -كما يقولون- البشرى السعيدة لجميع الأممِ، من نهاية الأرض الى نهاية أُخرى، لا تَتَفِقُ إلا مع جهلِ أولئكَ الذينَ لا يعرفونَ شيئاً عن مدى العالم، و الذينَ يعتقدونَ، كما يعتقدُ هؤلاءُ منقذي العالم، و استمروا في الاعتقاد لعدة قرون، (في تناقضٍ مع اكتشافات الفلاسفة وتجارب الملاحين) أن الأرضَ كانت مسطحةً كالخندق. وأن الرجل قد يسير ليصل نهايتها.

ولكن كيفَ يُمكنُ ليسوعَ المسيحَ جعلَ أيَ شيءٍ معروفاً لجميع الأممِ؟ كان بأمكانه التكلم بلغة واحدةٍ، وكانت هي العبرية. وهناكَ في العالم عدةَ مئاتٍ من اللغات. ونادراً ما تتكلم دولتينِ بنفس اللغةِ، أو يفهمَ كل منهما الآخر؛ أما بالنسبةِ للترجمةِ، فكلُ رجلٍ يعرفُ شيئاً

من اللغاتِ، يعلَمُ أنهُ مِنَ المستحيلِ الترجمة من لغةٍ الى اخرى دون فقدانِ جزءٍ كبيرٍ من الأصلِ، ولكن فقدانُ المعنى في كثيرٍ من الأحيانِ.

وإلى جانبِ كلِ ذلك، فن الطباعةِ كان مجهولاً تماماً في الوقتِ الذي عاشَ فيهِ المسيح. ومن الضروريِ دائماً توفرُ الوسائلِ المناسبةِ لإنجازِ هذهِ الغايةِ، والا فلا يمكن تحقيقها. هذا يبين الفرقَ بينَ القوةِ و الحكمةِ المحدودةِ و اللا محدودةِ. فكثيراً ما يفشلُ الأنسانُ في تحقيق غايتهِ، بسبب نقصٍ طبيعيٍ في القوة اللازمةِ لتحقيقِ هذا الغرض؛ والحاجة الى الحكمة لأستخدام هذه القوةِ بالشكل الصحيحِ. ولكن من المستحيل أن تفشلَ القوة و السلطة اللامحدودةِ كما يفشلُ الانسان. فالوسائل التي تستخدمُها هي دائماً مساويةٌ للغاية: ولكن اللغةَ البشريةَ، وعلى وجهِ الخصوصِ عدَمَ وجودِ لغةٍ عالميةٍ قادرةٍ على ان تُستخَدَم كوسيلة عالميةٍ للمعلومات غير المتغيرة والموحدةِ؛ وبالتالي فهي ليست الوسيلةَ التي يستخدمُها الربُ في إظهار نفسه عالمياً للإنسان.

فقط في الخلق يمكن لجميع أفكارنا ومفاهيمنا لكلمة الاله أن تتحد. يتحدث الخلق لغةً عالميةً، مستقلةً عن خطاب الإنسانِ أو لغةِ الإنسان. وهو الأصلُ الموجودُ من أي وقتٍ مضى، والتي يمكن لكل رجل قراءتهُ. لا يمكن ان يزور. و لا أن يزيف، يضيعُ. او يُغير.

و لا يمكن قَمعُه. فهو لا يعتمِدُ على إرادة الإنسان سواء نُشرَه أم لم يَنشُره؛ فإنه ينشُرُ نفسه من طرف الأرض إلى الآخر. وهو يُبَشرُ جميع الأمم و جميع العالمين؛ وهكذا كلمة الرب تكشف للأنسان ما يحتاجُ معرفَتَهُ عنه.

هل نريد أن نتأمل في قدرته؟ فنرى ضخامةَ الخلقِ. هل نريد أن نتأمل في حِكمَتِهِ؟ فنحن نرى ذلك في النظام الغير القابل للتغيير الذي لا يمكننا استيعابُه. هل نريد أن نتأمل في

ذهنه؟ فنراه في الخيرِ الذي يملأُ الأرضَ. هل نريد أن نتأمل في رحمتهِ؟ فنرى عدَمَ منعِهِ هذا الخير حتى عن غير الشكورين.

في النهاية، هل نريد أن نعرف ما هو الرب؟ علينا ان لا نَبحَثَ في الكتاب الذي يُسمى المُقدس، ألذي يمكنُ لأي انسانٍ كتابتَهُ، بل في الكتاب الذي يسمى الخلق.

الفصل العاشر: عن الرب وسماته في الكتاب المقدس

الفكرةُ الوحيدةُ التي يمكنُ أن يربطها الإنسانُ باسمِ الرب، هي السببُ الأولُ، سببَ كُل شيء. من الصعبِ على نحو غير مفهومٍ بالنسبة للأنسانِ تصور ما هو السَبَبُ الأولُ، ولكنهُ وصولهُ للايمان به، اقل صعوبة من إنكاره بأضعاف مضاعفة. من الصعبِ وصفُ كونِ الفضاءِ بلا نهاية؛ ولكن من الأصعب تصور نهايةٍ له. فمن الصعب لإنسانٍ تصورُ المدةِ الأبديةِ لما نسميهِ الوقتُ؛ ولكن من المستحيل تصورُ وقت لا يكون فيهِ وقتٌ.

في مثل التفكير المنطقي، كل ما نملك يحمل في طياته أدلةً داخليةً بأنه لم يخلقُ نَفسَهُ. كل رجل هو دليل على نفسهِ، بأنه لم يَخلُق نَفسَهُ. لا يُمكنُ لأبيه أن يَخلُقَ نَفَسَهُ، ولا لجده، ولا لأي من عرقه. لا يُمكنُ لأي شجرةٍ أو نباتٍ أو حيوانٍ خلقَ نفسها؛ وهو الاقتناعُ الناجمُ عن هذه الأدلةِ، التي تحملنا، كما كانت، بحكم الضرورةِ، إلى الاعتقادِ بوجودِ مسببٍ أولٍ موجودٍ أصلاً، ذو طبيعةٍ مختلفةٍ تماماً عن أي وجودٍ مادي نعرفهُ، وبقوتهِ كُل شيءٍ موجودٍ؛ وهذا المسببُ الأول، يسميه الانسان الرب.

انها فقط من خلال ممارسة العقل، يمكن للأنسانِ اكتشافُ الـرب. فعنـد سـلب هـذا العقـل، لن يكون قادراً على فِهمِ أي شـيءٍ. وفـي هـذهِ الحالـةِ تكـونُ قـراءةُ الكتـابِ الـذي يسـمى الكتابَ المقدسَ إلى حصانٍ كقراءتهِ لأنسانٍ. فكيف يتظاهر هؤلاء الناس برفض العقل؟

تقريبا الأجزاء الوحيدة في الكتاب المسمى الكتاب المقـدس، الـتي تنقـل لنـا أي فكـرة عـن الرب، هي بعض الفصول في العمل، والمزمور التاسع عشر؛ أنا لا أذكر أي شـيء آخـر. هـذه الأجزاء هي تركيباتٌ ربوبيةٌ حقيقيةٌ؛ لأنهم يتناولون الإلهَ من خلال أعمالِه. يأخذونَ كتابَ الخلقِ كلمة الربِ. فإنها لا تشير إلى أي كتاب آخر؛ وجميع الاستنتاجاتِ التي يستخلصونَها مستمدةٌ من ذلك المُجلد.

وأدرجُ في هذا المكان المزمور التاسع عشر، كما أعيدت صياغته في الآية الإنجليزية الـتي كتبها أديسون. لا أتذكرُ النثرَ، وليس لدي فرصةٌ لرؤيتهِ من حيثُ اكتب:

يوم إلى يوم يذيع كلاما، وليل إلى ليل يبدي علما

لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم

في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. جعل للشمس مسكنا فيها

وهي مثل العروس الخارج من حجلته. يبتهج مثل الجبار للسباق في الطريق

من أقصى السماوات خروجها، ومدارها إلى أقاصيها، ولا شيء يختفي من حرها

ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيما

وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين

خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها

أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد

أيضا عبدك يحذر بها ، وفي حفظها ثواب عظيم

السهوات من يشعر بها ؟ من الخطايا المستترة أبرئني

أيضا من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا علي. حينئذ أكون كاملا وأتبرأ من ذنب عظيم

لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يارب، صخرتي ووليي

ما هو أكثر ما يريد الأنسانُ أن يعرفَهُ، من أن اليد أو القوة التي جَعَلَت هذه الأمور هي الهيةٌ قديرةٌ؟ دعه يؤمن بهذا، بقوتها فمن المستحيل ان يرفض إذا كان يسمح لعقله بالعمل، وحكمةٌ من الحياة الأخلاقية سوف تتبع بالطبع.

الإيحاءات في سفر العمل لها نفسُ الاتجاه مع هذا المزمور. أي استنتاجُ أو إثبات الحقيقة التي من شأنها أن تكونَ غيرَ معروفةٍ خلافًا لذلكَ، من الحقائقِ المعروفة بالفعل.

لا أذكر ما يكفي من المقاطع من سفر العمل لإدراجها بشكل صحيح. لكني اتذكرُ واحداً ينطبق على هذا الموضوع. "الا يمكنك من خلال البحث معرفة الرب، ألا يُمكنُكَ معرفةُ كمال الرب"

أنا لا أعرف كيف أشارت الطابعات لهذا المقطع، لأنني لا احتفظُ بالكتاب المقدسِ. ولكنه يحتوي سؤالينِ متميزينِ بإجاباتٍ متميزةٍ.

أولاً، الا يُمكنُكَ معرفة الرب من خلالِ البحثِ؟ نعم فعلاً. لأنه، في المقامِ الأولِ، أنا أعلم أنني لم اخلقُ نفسي، ولكنني موجودٌ؛ ومن خلال البحث في طبيعة أمورٍ أُخرى، أجدُ أن لا شيءَ آخرَ يُمكنُ أن يَخلُقَ نَفسَهُ. ومع ذلك توجد ملايينٌ من الأشياءِ الأخرى؛ لذلك، أنا

أعلم، من خلال النتيجةِ الإيجابيةِ الناتجة عن هذا البحث، أن هناكَ قوةٌ متفوقةٌ على كّل تِلكَ الأشياءِ، وأن القدرةَ هي الرب.

ثانياً، ألا يُمكنُكَ معرفةُ كمال الرب؟ ليس فقط لأن القدرةَ والحكمةَ التي تتجلى في هيكلِ الخلقِ الذي هو بالنسبةِ لي غير مفهومٍ؛ ولكن لأنه حتى هذا الظهور، على عظمتِهِ، ربما هو عرضٌ صغيرٌ من تلك القوةِ والحكمةِ، التي من خلالِها الملايين من عوالم أخرى، بالنسبة لي غيرُ مرئيةٍ، قد تم إنشاؤها ولا تزالُ موجودةً.

ومن الواضحِ أن هذين السؤالينِ قد طُرِحا على عقل الشخص الذي كان من المفترض أن يعالجهما؛ وبأنه فقط من خلال قبول السؤالِ الأولِ الذي يجب الإجابة عليه بالإيجاب، فإن الثاني يمكن أن يتبعُهُ. و الا فمن غير الضروريِ، بل ومن العبث، أن نطرحَ سؤالاً ثانياً، أصعبَ من الأول إذا كان قد تم الرد على الأول سلباً. السؤالينِ لهما غرضينِ مختلفينِ. الأولُ يشيرُ إلى وجودِ الرب، والثاني إلى صفاتِه. العقل يمكنه اكتشافُ واحد، لكنه يفشل بلا حدود في اكتشاف الآخر.

أنا لا أتذكر حتى مقطعاً واحداً في كل الكتابات المنسوبةِ إلى الرجالِ الذين يُدعَونَ بالرسل، ينقُل أيَ فكرةٍ عن ما هو الرب. هذه الكتاباتُ مثيرةٌ للجدل أساساً؛ و كآبة الموضوع، أي موت الرجل بعذاب على الصليب، هو أكثر ملاءمةٍ لعبقريةٍ قاتمةٍ من راهبٍ في زنزانةٍ، فمن غير المستحيل أنها قد كُتِبَتْ هناك اساساً، بدلاً من كتابتِها من قبل إنسانٍ يتنفسُ الهواء الطلق.

الفصل الحادي عشر: عن اللاهوت المسيحي و اللاهوت الحقيقي

أما بالنسبةِ للنظامِ المسيحيِ للإيمان، فإنه يَبدو لي كنوعٍ من الإلحاد، نوعٍ من إنكارٍ ديني للرب. مبنيٍ على الايمانِ برجلٍ وليس برٍب. وهو مركبٌ يتكونُ أساسا من رجل مع القليل من الربوبية، وهو قريبٌ من الإلحاد كما هوَ الشفقُ مِنَ الظلامِ. فهو يَدخُلُ بينَ الإنسانِ وخالقهِ جسمٌ مبهمٌ، ما يطلقُ عليه المُخلص، كما يدخل القمرُ بينَ الأرضِ والشمس، ويَنتُجُ عن طريق هذا كسوفٌ دينيٌ أو كسوفٌ لا ديني، واضعاً العقلَ كلَهُ في الظلِ.

وكان تأثيرَ هذا الغموض هو تحول كل شيء رأسا على عقبْ، وتمثيله في الاتجاه المعاكس؛ ومن بين الثورات التي انتجها، كانت ثورةٌ في اللاهوت.

ان ما يسمى الآن الفلسفة الطبيعيةَ، والتي تشملُ دائرةَ العلمِ كُلها، التي يحتلُ فيها علمُ الفلكِ المكان الرئيسي، هو دراسة أعمالُ الربِ، وقوةُ وحكمةُ الالهِ في أعمالِه، وهو اللاهوت الحقيقي.

أما اللاهوت الذي يُدرَسُ الآن في مكانهِ فهو دراسةُ الآراءِ الإنسانيةِ والخيالاتِ البشريةِ عن الرب. ليست دراسةَ الرب نفسهُ في الأعمال التي قام بها، بل في الأعمال أو الكتابات التي صنَعَها الإنسان؛ وهي ليست من بين أقل ما يسيءُ إليه النظامُ المسيحيُ للعالم، وأنه قد تخلى عن نظامِ اللاهوتِ الأصليِ والجميل، و قام بالتضييق والوعظِ، من اجل افساحِ المجالِ أمام الخرافات .

سِفرُ العمل و المزمور التاسع عشر، الذي تَعتَرِفُ الكنيسةُ بكونهِ أكثرَ قُدماً من الترتيبِ الزمنيِ الذي وضع له في الكتابِ المسمى بالمقدسِ، هي رواسبٌ مطابقةٌ للنظام الأصلي من اللاهوت. إن الأدلة الداخليةِ لتلكَ الرواياتِ تُثبِتُ وجودَ دليلٍ على أن دراسةً وتأمل أعمال الخلقِ، وقوة وحكمة الالهِ كُشُفتْ وتَتَجلى في تلكَ الأعمال، جَعَلَتْ جُزءً كبيراً من التفاني الديني في الاوقات التي كُتِبَت بها.

وكانت هذهِ الدراسة التعبدية والتفكير التي أدت إلى اكتشافِ المبادئِ التي تسمى الآن العلوم؛ إن جميع الفنون التي تساهم في راحة حياة الإنسان مدينةٌ لاكتشافِ هذهِ المبادئِ. كل فنٍ رئيسيٍ لديهِ بعض الأرتباط بعلمٍ اصليٍ، على الرغم من أنَ الشخصَ الذي يؤدي العملَ نادراً ما يُدرِكُ هذا الأرتباط.

إنه احتيالٌ في النظامِ المسيحيِ ان يُسَميَ العُلومُ بالإختراعاتِ البشريةِ؛ إن تطبيقها فقط هو بشريٌ. لكلِ علمٍ أساسه من نظمٍ و مبادئٍ ثابتةٍ لا تتغير كتلكَ التي تُنَظِمُ و تَحكمُ الكونَ. الانسانُ لا يمكنُهُ خَلقُ المبادئ، يمكنُهُ فقط اكتشافُها.

على سبيل المثال: كلُ شخصٍ يَنظُرُ إلى التقويمِ الفلكيِ يَرَى موعِدَ حدوثِ الكسوف، ويرى أيضاً انه لا يفشلُ في الحدوث حينها. وهذا يدلُ على إن الانسانَ على علمٍ بالقوانين التي تتحركُ بها الأجسامُ السماويةُ. ولكن سيكونُ شيئاً أسوأ من الجهل، قولُ اي كنيسةٍ على الأرض أن تلكَ القوانينَ هي اختراع بشري.

كما سيكونُ من الجهلِ، أو ما هوَ أسوأُ مِن ذَلَكَ، القولُ بأن المبادئَ العلميةَ، التي من خلالِها استطاعَ الانسانُ حسابَ موعد حدوثِ الكسوف، هي اختراعُ الإنسان. فليس بامكان الانسانِ اختراعُ أيَ شيءٍ أبديٍ وغيرَ قابلٍ للتغييرِ. والمبادئُ العلميةُ التي يستخدِمُها لهذا الغرض يجب، بل هي بالضرورة، أبديةٌ و غيرَ قابلةٍ للتغيير مثلَ القوانين التي تتحرَكُ بها الأجسامُ السماوية، و ألا فلا يمكنُ أستخدامُها للتأكد من الوقتِ و الطريقةِ، التي يحدث بها الكسوف.

إن المبادئَ العلميةَ التي يستخدِمُها الإنسانُ للحصولِ على المعرفةِ المسبقةِ للكسوفِ، أو أي شيءٍ آخرَ يتَعلقُ بحركِةِ الأجسامِ السماويةِ، تَرِدُ أساساً في ذلك الجزءِ من العلمِ الذي يُسمى عِلمَ المثلثاتِ، أو خصائصَ المثلث، فعند تطبيقِها على دراسةِ الهيئاتِ السماويةِ، يُسمى حينئذً علمَ الفلكِ. عِندَ تطبيقها لتوجيهِ مسارِ السفنِ في المحيطِ، يُسَمى ذلك الملاحة؛ وعند تطبيقِها على بناءِ الاشكالِ، تسمى الهندسة؛ عند تطبيقِها على بناء الصروح، تسمى الهندسةَ المعماريةَ؛ عند تطبيقِها على قياسِ أي جزءٍ من سطحِ الأرض، يسمى ذلك مسحاً أرضياً. في النهاية، هو روحُ العلمِ. إنها حقيقةٌ أبديةٌ: إنها تحتوي على التمثيلِ الرياضيِ الذي يتحدثُ به الإنسان، ومدى استخداماتهِ غير معروفٍ. ويمكنُ القولَ، أن الرَجُلَ يُمكنُ أن يَصنَعَ أو يَرسُمَ مثلثاً، وبالتالي المثلثُ هو اختراعٌ بشريٌ.

ولكن المثلثَ، عند رَسمِهِ، ليس سِوى صورةِ المبدأ: إنه ترسيمٌ للعيـنِ، ومـن ثُـمَ إلـى العقـلِ، لمبدإٍ من شأنِهِ أن يكونَ غير محسوسٍ. المُثَلَثُ لا يخلقُ المبدأ، شأنه شأن شمعةٍ تؤخذُ فـي غرفةٍ مظلمةٍ، فلا تخلق الشمعةُ الكراسيَ والطاولاتَ التي كانت قبلَ ذلكَ غيرَ مرئيةٍ. جميعُ خصائصِ المثلثِ موجودة بشكلٍ مستقلٍ عن الشكل، وكانت موجودةً قبلَ رسـمِ اي مثلـثٍ أو تفكير بشريٍ به. لم يكن للأنسانِ أي يد في تشكيلِ تلك الخواصِ أو المبـاديءِ، و ليـس بـه يد في صنع القوانين التي تتحرك بها الأجسام السماوية؛ وبالتالي يجب ان يكون لـه نفـس الأصل الإلهي كما للآخر.

بنفس الطريقةِ، يمكنُ للرجلِ أن يصـنَعَ مثلثـاً، لـذلك أيضـاً، يسـتطيع صُـنعَ أداة ميكانيكيـة تسمى ذراعً. ولكن المبدأ الذي يعمل به الذراع، هو شيء مختلـف عـن الاداة، وهـو موجـودٌ ان لم توجد الاداةُ أصلاً؛ فإنه يتصل بالاداةِ بعدَ أن تُصـنَعَ؛ وبالتـالي فـإن الاداة لا يُمكـنُ أن تعمَلَ بخلاف المبدأ؛ لا يمكنُ لجميعِ الجهودِ البشريةِ جعلها تَتَصرفُ خلافاً لذلك.

لا يمكن للانسان صُنعَ المبادئِ، لكن من اين له القدرةُ على تطبيقِها، ليسَ فقطْ علـى مـا هـو على الأرضِ، بل للتأكدِ من حركةِ الهيئاتِ السماويةِ البعيدةِ جداً عنـهُ؟ أسـأل مـن أيـنَ، هـل يُمكنُ له أن يَكتسِبَ تلك المعرفة، الا من خلالِ دراسةِ اللاهوتِ الحقيقي؟ إن هيكلَ الكـونَ هو الذي علم الإنسان هذه المعرفة. هذا الهيكل هو معرضٌ قائمٌ منذُ أي وقتٍ مضى مكـونٌ من المبادئِ التي تم تأسيسُ كُلِ جزءٍ من العلومِ الرياضيةِ عليها.

ذريةُ هذا العلمِ هو الميكانيكا فهي ليسـت سِـوى مبـادئ العلـم بعـد أن تـم تطبيُقهـا عمليـاً. الرجل الذي يتعاملُ مع أجزاءٍ عديدةٍ من مطحنةٍ يستخدمُ نفسَ المبادئ العلميةِ التي بُنِـيَ عليها الكون، ولكنه لا يصنعُ تلكَ المادةَ الخفيةَ التي تتصـلُ مـن خلالِهـا جميـعُ أجـزاء الآلـة الهائلة من الكون وتؤثرُ علـى بعضِـها البعـض، وتَعمَـلُ فـي انسـجامٍ متحـركٍ معـاً، بـدون أي اتصالٍ واضحٍ، والتي أعطاها الانسانُ إسـم الجاذبيـة، والتنـافر، ويصـفها الانسـان بتواضـع

مشبهاً اياها بالتروس. في عالم الانسان المصغر يجب أن تتلامسَ جميعُ الاجزاءِ لتعملَ معاً. ولكن هل يمكنُ أن يكتَسِبَ معرفة تلك المادة، و يكونَ قادراً على تطبيقِها في الممارساتِ العمليةِ، فنقول حينها انه تم اكتشافُ كتابٍ آخراً من كلمة الرب الأساسية.

إذا كان للرجل أن يُغيرَ خَصائِصَ الذراعِ، فيُمكنُهُ ايضاً تغييرُ خصائصِ المُثلثِ: الذراع (الميزان القباني على سبيل المثال)يُشكلُ مثلثاً عِندَ الحركةِ. فالخطوطُ المارةُ من نقطةِ الارتكازِ إلى نهايةِ الذراعِ، و منها الى وتر القوسِ، تشكل جوانب المُثلث.

الذراع الاخر للميزان يمثل مثلثاً أيضا. والجانبان المقابلانِ لهذينِ المثلثينِ محسوبانِ علمياً، و مقاسان هندسياً وكذلك الجيب والمماس و الزوايا وقياساتها لها نفس النسب لكل منها الأخرى؛ كذلك الأوزان المختلفة التي توازن بعضها البعض على الذراع، تاركةً وزن الذراع خارج الحسبان.

ويمكن أيضا أن يُقالَ، أن الرجلَ بإمكانهِ صُنعَ عجلةٍ و محورٍ. أنه يمكن وضع عجلاتٍ من مختلف الأحجام معاً، وإنتاج مطحنةٍ. لا تزال القضيةُ تعودُ إلى نفس النقطةِ، أي أنه لم يخلُق المبدأ الذي يُعطيَ العجلات تلكَ القوى. هذا المبدأ لا يمكن تغييرهُ كما في الحالات السابقةِ، أو بالأحرى هو نفس المبدأ تحت مظهرٍ مختلفٍ للعينِ. ومن دراسةِ اللاهوتِ الحقيقي إستُمِدت كل العلومُ. ومن هذه المعرفةِ نشأتْ جميعُ الفنونِ.

المحاضرُ القديرُ، من خلالِ عرضهِ لمبادئِ العلمِ في هيكل الكونِ، دعا الإنسانَ إلى الدراسة والتقليدِ. وكأنه قد قال لسكان هذا العالم "لقد خلقت للأنسان الأرضَ ليسكنَ، و جعلتُ نجومَ السماءِ ظاهرةً لتعليمِهِ العِلمَ و الفنَ، ويُمكنُه الآن توفيرَ راحتهِ الخاصةِ، وتعلمِ العطفِ تجاهَ الأخرينَ"

فما نفعها اذاً ان لم تكن لتعليمِ الانسانِ شيئاً، فعينُهُ تُبصرُ قوةَ الرب في مسافة لا يمكن أستيعابُها، فما فائدةُ العوالمِ الهائلةِ في الفضاءِ؟ و ما جدوى جعلِ هذهِ الكثافةِ من العوالِمِ مرئيةٍ للإنسانِ؟ ما هو دخلُ الانسانِ بحزمةِ نجومِ الثريا، او أوريون، او سيريوس، بالنجم الشمالي، بالكواكبِ التي يُطلَقُ عليها زُحلْ، المشتري، المَريخ، الزُهرة، وعطارِد، إذا لم يكن هناكَ استخداماتٌ لمتابعتهم بكونهم مرئية؟ لأعطيَت رؤية أقّل للإنسانِ، إن كان لا فائدة منها.

عندما يتأملُ الإنسانُ ما يُسميهِ السماءَ المُرَصَعَةَ بالنجومِ، كما يُذكَرُ في كتب العلومِ، يَكتَشِفُ فوائدَ رؤيتهِ لها، أو ميزة رؤيته القوية. عندما ينظرُ في الموضوعِ في ضوءِ ذلكَ، يرى دافعاً إضافياً للقولِ، أن شيئاً لم يُخلقْ عبثاً؛ وان قُدرَتَهُ على الرؤيةِ قد عَلّمَتهُ شيئاً.

الفصل الثاني عشر: آثار المسيحية على التعليم و الإصلاحات المقترحة

وبما أن النِظامَ المسيحيَ للإيمانِ صنع ثورةً في اللاهوت، فإنه صنع أيضاً ثورةً في حالة التعلم. ما يسمى الآن بالتعلم، لم يكن تعلماً أصلاً. التعلم لا يتكونُ، كما جعلتهُ المدارسُ الآن، مِن معرفةِ اللغات، ولكن بمعرفةِ الأشياءِ التي تعطيها اللغةُ اسماءً.

كان الإغريقُ من الناسِ المتعلمينَ، ولكن تعلمَهُم لم يَكن متعلقاً باللغة اليونانيةِ، وينطبق الشيء نفسه على الرومانيون الذين يتحدثون اللاتينية، أو الفرنسيون المتحدثين بالفرنسية، أو الإنجليز الناطقين بالانجليزية.

من ما نعرفه عن الإغريق، فإنه لا يبدو انهم قد درسوا لغةً غير لغتهم، وكان هذا سببا في اتاحة المزيد من الوقتِ لهم لتكريسَ أنفُسِهمْ لدراساتٍ أفضلَ. مدارسُ اليونانيين هي مدارس العلوم والفلسفة، وليست مدارسَ لغاتٍ؛ التعلمُ يتكونُ من معرفةِ العلومِ و الفلسفةِ.

تقريبا كُلُ التعلمُ العلميُ الموجودُ الآن، جاء إلينا من الإغريق، أو الناس الذين تحدثوا الاغريقية. لذلك أصبح من الضروري لشعوب الدول الأخرى التي تتكلمُ بلغةٍ مختلفةٍ أن يتعلم بعضهم اللغةَ الاغريقيةَ لكي يتعلموا من الاغريقِ عن طريقِ ترجمةِ كتب العلومِ والفلسفةِ الاغريقةِ الى اللغة الأم لكلِ أمة.

وبالتالي فإن دراسةَ اللغةَ الاغريقةَ (وبنفس الطريقة للاتينية) لم يكن سوى عملاً شاقاً من قبل مختصٍ لغوي؛ واللغة التي تم الحصول عليها، ليست سوى الوسيلة المستخدمة للحصول على علمِ الاغريق. أنها لم تُقدِمْ أي جزءٍ من التعلمِ نفسهِ. وكان من المحتملِ جِداً إن الأشخاصَ الذينَ قد دَرَسوا اليونانيةَ بما يكفي لترجمةِ تلكَ الأعمالِ، على سبيل المثال كتاب عناصر إقليدس، لم يفهموا أياً من الأعمال الواردة.

وبما أنه لا يوجدُ الآن شيءٌ جديدٌ يمكنُ تَعَلُمَهُ مِنَ اللغاتِ الميتةِ، لأن جميع الكتب المفيدة قد تمت ترجمتها بالفعل، وأصبحت تلك اللغاتُ غيرَ مجديةٍ، والوقتُ الذي أُنفِقَ في تدريسها وفي تعليمها يضيع.

وعلى الرغمِ من أن دراسة اللغاتِ قد تساهمُ في تقدم المعرفة وتواصلها (لكن لا علاقة لها بصنع المعرفة) أنه يُمكنُ العثور على معارفٍ جديدة باللغاتِ الحيةِ فقط؛ ومن المؤكد بشكل عام، ان تَعَلُمَ الشبابِ أكثر من لغةٍ حية في سنةٍ واحدةٍ، افضلُ من تعلمِ لُغَةٍ ميتةٍ في سبع؛ والتي نادراً ما يَعرِفُ المُعلم الكثيرَ منها بنفسهِ.

صعوبةُ تعلم اللغات الميتة لا تنشأ من أي تفوقٍ في اللغات نفسها، ولكن في كونها ميتةً، والنطق بها قد فُقدَ تماماً. سيكونُ الشيءُ نَفْسُهُ مع أي لغةٍ أُخرى عندما تصبح ميتةً. أفضلُ لغويٍ اغريقيٍ موجودٍ الآن لا يفهم الاغريقية، ونفس الشيء ينطبق على اللاتينية. وفيما يتعلق بالنطق والتعبير، لذلك من المفيد لحالة التعلم الغاء دراسة اللغات الميتة، وجعلُ التعلمِ يتكونُ، كما كان أصلا، في المعرفةِ العلميةِ.

العذر الذي يتم في بعض الأحيان لمواصلةِ تعليمِ اللغاتِ الميتةِ هو أنه يتم تدريسُها في الوقت الذي يكونُ الطفل فيه غيرَ قادرٍ على ممارسةِ أي فعاليةٍ ذهنيةٍ أخرى. ولكن هذا أمرٌ خاطئٌ تماماً. العقلُ البشريُ لديهِ ميولٌ طبيعيٌ للمعرفةِ العلميةِ، والأشياءُالمرتبطةُ به.

أول تسلية مفضلة للطفل، حتى قبل أن يبدأ باللعب، هو تقليدُ أعمال الإنسان. أنه يبني بيوتاً من البطاقات و العصي. و يتنقل في المحيط الصغير بقارب من الورق، أو يبني السدود لتيار المياه، و يصنع شيئاً مما يُطلَقُ عليه مطحنةً. ثم يذهب إلى المدرسةِ، حيث تُقتَلُ عبقريتهُ من قبل دراسة قاحلةٍ للغة ميتةٍ، و يضيع الفيلسوف في لغوي.

ولكن العذر الان لمواصلةِ تعليمِ اللغاتِ الميتة، لا يمكن أن يكون سبباً في حصر التعلم بمجال ضيق ومتواضع من علم اللغة؛ ولذلك يجب التماس سبب آخر. في جميع البحوث من هذا النوع، أفضلُ دليلٍ يمكنُ أن يُنتَج، هو الأدلة الداخلية للشيء الذي يحمله مع نفسه، والأدلة التي تتناسب مع الظروف؛ وكلاهما، في هذا حالة، ليس من الصعب اكتشافها.

دعونا نضعُ جانباً، كمسألة متميزةِ للنظر، الاهانة التي تعرضتْ لها العدالةُ الأخلاقية الالهية، من خلال افتراضِ عقابَه للأبرياءِ ليعانوا من اجل المذنبِ، وأيضاً سوء الخلق في عرضه

مغيراً نفسه متلبساً في شكل رجل، من أجل تقديم عذر لنفسه لعدم تنفيذ حكمه المفترض على آدم. وأقول، هذه الأشياء جانبا كمسألة ذات أهميةٍ خاصةٍ، فمن المؤكـدِ أن مـا يسـمى بالنظام المسيحيِ للإيمان، بما في ذلك في المفاهيم الغريبة عن الخليقة مثـل قصـة حـواء والثعبان و الفكرة البرمائية لإله-إنسان، و الفكرة الجسدية لوفاة إلهٍ، و الفكـرة الأسـطورية لأسرةٍ من الآلهة، والنظام المسيحي الغريب للحساب، بأن الواحدَ يسـاوي ثلاثـةً، و الثلاثـة هي واحدٌ، كلها لا يمكن التوفيق بينها، ليس فقط بالنسبة للهديـة الإلهيـة مـن العقـل، الـتي أعطاهـا الـرب للإنسـان، ولكـن للمعرفـة و الحكمـة الالهيـة الـتي كسـبها الانسـان بمسـاعدة العلوم، ودراسة هيكل الكون الذي صنعه الرب.

وهكـذا، فـإن واضـعي النظـام المسـيحي للإيمـان لا يسـتطيعون إلا ألتنبـؤ بـأن المعرفـة التقدمية المستمرة التي سيكتسبها الإنسان بمساعدة العلم وقوة وحكمة الاله التي تتجلى في بنية الكون ، وفي جميع أعمال الخلق، من شأنه أن يطعـن فـي نظـام إيمـانهم ويشـكك فيه؛ وبالتالي أصبح من الضروري أن يكون الغرض منها هو خفض التعلـم إلـى حجـم أقـل خطورة على مشروعهم، وهذا ما يحدث عن طريق تقييد فكرة التعلم فـي دراسـة اللغـات الميتة.

ولم يرفضوا دراسة العلوم في المدارسَ المسيحيةَ فحسب، بل اضطهدوها أيضا؛ ولم يتـم إحياء هذه الدراسة إلا خلال القرنين الماضيين. حتى وقت متـأخر مـن عـام ١٦١٠، اكتشـف غاليليو، واستخدم التليسكوبات، ومـن خلال تطبيقهـا لمراقبـة حركـات ومظـاهر الأجسـام السماوية، وفر وسائل إضافية للتحقق من الهيكـل الحقيقـي للكـون. فبـدلا مـن احـترامهم لهذه الاكتشافات، حُكمَ عليه بالتخلي عنها، ذلك بأنها هرطقة.

وقبل ذلـك الـوقت أُديـنَ فيرجيليـوس بـأن يحـرق لتأكيـده أن الأرض كـانت كـرة، وقابلـة للسكن في كل جزء من اليابسة؛ ولكن هذه الحقيقة معروفة جدا و لا داعي لقولِها.

إذا كان الايمان بالاخطاء لم يسبب اذى، فإنها لن تجعل معارضَتِها و ازالِتها واجباً أخلاقياً. لم يكن هناك أي ضررٍ أخلاقيٍ في الإيمان بأن الأرض كانت مسطحة مثل الخنادق، مثل الاعتقاد انها كروية.

كما انه لا يوجد أي ضرر أخلاقي في الاعتقاد بأن الخالق لم يخلق عالماً غير هذا، أكثر من الاعتقاد بأنهُ قد خلَقَ الملايين، وأن اللانهاية من الفضاء المليء بالعوالِم. ولكن عندما ينمو نظام الدين على افتراضاتٍ غير صحيحةٍ للخلقِ، و يربُطُ نفسهُ به فإن القضيةَ تأخذُ منحىً مختلفاً تماماً. ومن ثم فإن الأخطاء، التي ليس لها ضرراً أخلاقياً، تعاقبُ بنفس الطريقة كما لو كانت. لذلك فإن الحقيقة، تصبحُ أساسيةً، بأدلة مطابقة، أو ينكر بأدلة مناقضة، حقيقة الدين نفسه.

ومن وجهة النظر هذه، فإن الواجبَ الأخلاقيَ للإنسان هو الحصولُ على كُلِ دليلٍ مُمكنٍ عن بُنيةِ السماوات، أو أيَ جُزءٍ آخر من الخلق، ولكن أنصار النظامَ المسيحي يقومون بالمعارضة بأستمرار، ليس فقط برفض العلوم، ولكن باضطهاد الأساتذة. لو أن نيوتن أو ديكارت قد عاشوا قبل ثلاث أو أربع مئة سنة، وواصلوا دراستهم كما فعلوا فمن الأكثر احتمالاً أنهم لما كانوا ليعيشوا بما فيه الكفاية لإنهاءها.

في أوقات لاحقة وَضَعَتْ الكنيسةُ كل اللوم على القوطيين والمخربينَ، ولكن انصار النظام المسيحيَ غير راغبين بالأيمان أو الاعتراف به، على الرغم من صِحَتِهِ، أن عَصرَ الجهلِ بدأ مع النظام المسيحي، فقد كان هناك المزيدُ من المعرفةِ في العالمِ قبل تلك الفترةِ، مما كان عليه لقرون عديدةٍ بعد ذلكَ؛ وفيما يتعلقُ بالمعرفةِ الدينيةِ، والنظامَ المسيحيَ، كما ذُكِرَ سابقاً، لم يكنْ سِوى نوعاً آخراً من الأساطير التي نجحت في افساد النظمِ القديمةِ للتوحيد.

وبسبب هذه الفترةِ الطويلةِ من اضطهاد العلم، وليس لأي سبب آخر، علينا الآن أن ننظُرَ إلى الوراء من خلال هوةٍ واسعةٍ من مئاتِ السنينِ إلى شخصياتٍ محترمةٍ نسميها بالقدماء. لو كان تطورُ المعرفةِ قد ذَهَبَ على نحوٍ متناسبٍ مع التوجهاتِ التي كانت موجودةً قبل ذلك، لكانت هذهِ الهوةُ ممتلئةً بشخصياتٍ تتفوقُ في المعرفة. و لبقيَ القدماءُ باحترامٍ في خلفية المشهد.

ولكن النظامَ المسيحيَ اضاع كل ذلك. وإذا اتخذنا موقعنا من بدايةِ القرنِ السادسِ عشر، فإننا ننظرُ إلى الوراء من خلال تلك الهوةِ الطويلةِ، إلى زمنِ القدماءِ، كأننا ننظرُ لصحراءٍ رمليةٍ شاسعةٍ، لا اثر فيها لشجيرةٍ تَعتَرِضُ رؤيةَ التلال الخصبةِ وراءها.

ولكن الحقيقة التي لا تُنكر. بأن الحَدَثَ الذي خَدَمَ أكثَرَ من أي حدثٍ اخرٍ لكسر الرابط الأول في هذه السلسلةِ الطويلةِ من الاستبدادِ و الجهلِ هو ما يعرف باسم الاصلاحِ من قبل لوثر.

منذ ذلك الوقت، على الرغم من أنه لا يبدو أنها كانت أي جُزءٍ من نيةِ لوثر، أو أولئك الذين يطلقُ عليهم الإصلاحيونَ، بدأت العلومُ في إلحياةِ، وبدأت الحرية في الظهور.

كان هذا هو الصالحُ العامُ الوحيدُ الذي فَعَلَهُ الإصلاحُ؛ لأنه، فيما يتعلقُ بالصالحِ الديني، قد لا يكون كذلك. الأساطيرُ لا تزالُ مُستَمرَةً بنفس الطريقةِ؛ و تعددت الباباواتُ متفرعةً من البابا المسيحي.

الفصل الثالث عشر: مقارنة بين المسيحية و أفكار دينية مستوحاة من الطبيعة

بعد أن أظهرتُ، من الادلةِ الداخليةِ للأشياءِ، السـبَبَ ألـذي انتَـجَ تغييـراً فـي حالـةِ التعلُـمِ، والدافع لاستبدال دراسة اللغات الميتة، فإنني أشـرعُ، بالإضـافة إلـى الملاحظـات العديـدة التي سبق أن أُثيرت في الجزءِ السابقِ من هذا العمل، مقارنةَ الأدلةِ التي تـؤدي إليهـا بُنيـةُ الكونِ، مع النظام المسيحيِ للدين، أو بالأحرى مواجهة هذه الأدلة.

ولكن بما أنني لا أستطيعُ أن أبدأ هذا الجزءَ أفضلَ من الإشارةِ إلـى الأفكـار الـتي راودتنـي في وقت مبكرٍ من الحياة، والتي أشك في أنها لم تحدث الى حد ما لكل شخص في وقـتٍ

من الأوقات، وسوف أذكُرُ تِلكَ الأفكار، وأُضيفُ إليها أي مسألة أخرى تنشأُ عـن الموضـوع، مع إعطاء مقدمةٍ عامةٍ موجزةٍ.

كان والدي من الكـويكرز، كـان مـن حسـن حظـي أن احظـى بتعليـمٍ أخلاقـيٍ جيـدٍ للغايـة، ومخزون مفيدٍ من التعلم. على الرغم من أنني ذهبـتُ إلـى مدرسـة قواعـد اللغـةِ، لـم أكـن أتعلم اللاتينية، ليس فقط لأنني لم يكن لـدي ميـولٌ لتعلـمِ اللغـاتِ، ولكـن بسـبب اعـتراض الكويكرز على الكتب التي يتم تدريس اللغة بها. ولكـن هـذا لـم يمنعنـي مـن التعـرف علـى موضوعات جميع الكتب اللاتينية المستخدمةِ في المدرسة.

لقد كان ذهني يميلُ بصورةٍ طبيعيةٍ للعلم. كان لي بعض المنعطفاتِ، وأعتقدُ بعض مواهب الشعرِ؛ ولكني قمعته لانه كثيرا ما يؤدي الى مجال الخيال. وسرعان مـا تمكنـت مـن شـراءِ زوجٍ مـن الكـرات الارضـية المصـغرة، وحضـور المحاضـرات الفلسـفية لمـارتن فيرغسـون ورافقت فيما بعد الدكتور بيفيس من الجمعيـة الملكيـة، ثـم عِشـتُ فـي معبـد، وأصـبحتُ ممتازاً في علم الفلك.

لم يكن لدي أي دخلٍ بما سمي بالسياسة. لقـد كـان وقـعُ الكلمـة لـي ككلمـةِ سـباق الخيـل. عندما تحولت أفكاري نحو مسائل الحكومةِ، كان علي تشكيلُ نظاماً خاصـاً لنفسـي، الـذي يمثلُ المبادئَ المعنويةَ والفلسفيةَ التي كنت قد تعلمتها.

رأيت، أو على الأقل فكرت أنا رأى، مشهداً واسـعاً يفتـح نفسـه للعـالم فـي شـؤون أمريكـا؛ وبـدا لـي أنـه مـا لـم يغيـر الأمريكيـون خطتهـم، فيمـا يتعلـق بحكومـة إنجلـترا، و اعلان استقلالهم، فإن ذلك لن ينطـويَ فقـط علـى العديـد من الصـعوباتِ الجديـدة، ولكـن اغلاقُ الآفاقِ التي تقدم نفسها للبشرية من خلال امكانياتهم. كانت هذه من دوافـع نشـري العمـل المعروف باسم الحس السليم، الذي هو أول عملٍ قُمتُ به، و على المدى الذي يمكننـي فيـه

الحكم على نفسي، أعتقد أنني لم ينبغي أبداً ان اكون معروفاً في العالم ككاتب عن أي موضوع كان، ما لم يكن متعلقاً بالشؤون الأمريكية.

لقد كَتبتُ الحس السليم في نهاية عام ١٧٧٥، ونشرته في الأول من يناير ١٧٧٦ و تم أعلان الاستقلال في الرابع من يوليو الذي تلاه.

أي شخصٍ، قد قدمَ ملاحظاتٍ عن الدولة والتقدمِ والعقلَ البشريِ، من خلال مراقبةِ بلدهِ، لا بُدَ انه قد لاحظَ نوعانِ متميزانِ من ما يسمى بالأفكار. تلك التي تَنتجُ في أنفسنا من خلال التفكير والعمل، وتلك الراسخة في العقل من تلقاء نفسها.

لقد جعلت دائما قاعدة لمعاملة الافكار بتحضر، مع الحرص على دراستها، قدر استطاعتي، إذا كانت تستحق الاهتمام؛ ومنها قد اكتسبتُ تقريبا كل المعرفةِ التي لدي. أما بالنسبة للتعلم أن ما يكسبه أي شخص من التعليمِ المدرسيِ فأنه كرأس مال صغير، لوضعه في طريق البدء في التعلم لنفسه. فكلُ شخصٍ في النهايةِ هو معلمهُ الخاص. السببُ هو أن مبادئ التعلم، التي تتسم بجودةٍ مميزةٍ للظروفِ، لا يمكن ان تُفرَضَ على الذاكرةِ. مكان إقامتِهم العقلية هو الفهم.

منذ الوقت الذي كنت قادراً فيه على تصورِ الفكر، والعمل من خلال التفكير، وأنا أُشككُ في حقيقةِ النظام المسيحي، أو أعتقدُ أنها قضيةٌ غريبةٌ.

أتذكر أيضا، عندما كنتُ حوالي سبعٍ أو ثماني سنواتٍ من العمرِ، عند سماع خُطبةٍ من قِبَلِ قريبٍ لي، كان مُخلصاً عظيماً للكنيسةِ، عن موضوعِ ما يسمى الخلاص من قبل موت ابن الرب.

بعد انتهاء الخطبة، ذهبت إلى الحديقةِ، وبينما كُنتُ أنزِلُ من سُـلمِ الحديقـةِ (لأننـي أتـذكرُ تماماً المكان) لقد ثارت في ذاكرتي ما سَمِعتُ، وفكـرت فـي نفسـي أن ذلـك يجعـلُ القـديرُ يتصرف مِثلَ رجلٍ عاطفيٍ قَتَلَ إبنهُ عندما لم يمكنه الانتقام بنفسه بأي طريقة أخرى.

لم أرى أي سببٍ للتبشير بهذه الخُطبِ. فلم تكن هذه الأفكارُ من النـوعِ الـذي كـان لـه وقـعٌ جيدٌ على عقلِ طفلٍ. كان لي انطباعٌ أن الاله كان خيراً جداً من ان يقوم بمثل هكـذا عمـل، او ان القدير كان مضطراً للقيام بذلك اساساً. أعتقدُ بنفس الطريقةِ حتى هذه اللحظـةِ، أن أي نظامٍ دينيٍ لديه أي شيء يصدمُ عقل الطفلِ، لا يمكن أن يكون نظاماً حقيقياً.

يبدو كما لو كان الآباء من المسيحيين يشعرونَ بالخجلِ من إخبـارِ أطفـالهم أيَ شـيءٍ عـن مبادئِ دينِهِمْ. إنهم أحياناً يوجهونَهم إلى الأخلاقِ، ويتحدثون معَهُمْ عـن خيـر مـا يسـمونه الرعاية؛ لأن الأساطير المسيحية لديها خمسةٌ من الآلهة: هناك الآب، الابن، الروح القدس، الرعاية الالهية، والطبيعة. ولكن القصـة المسـيحية مـن وضـع الآب لإبنـه تحـت المـوت، أو توظيفُ الناس للقيام بذلك، لا يُمكنُ أن يُقالَ من قبَلِ أحد الوالدين لطفلهمـا. وأن يقـال لـه أن ذلك لجعل البشرية أفضلَ و أكثرَ سعادةً ، هو ما يجعل القصة أسوأ؛ كما لـو أن البشـرية يمكن تحسينها بقدوةِ القتـلِ؛ وألقـول لـه أن كـل هـذا الغمـوض، هـو ذريعـة لعـدم عقلانيـة المبدأ.

كم يختلف هذا عن الايمان النقي و البسيط من الربوبية! الربوبي الحقيقي لديه إلهٌ واحـدٌ. ويتكون دينهُ من التأملِ في قوةِ، و حكمةِ، الإلهِ في أعماله، وفي السـعي لتقليـدهِ فـي كـل شيءٍ أخلاقيٍ، علميٍ، وميكانيكي.

الدين الذي يَقترِبُ من الربوبيةِ الصحيحةِ، في الجُزءِ الأخلاقيِ و الحميد منها، هو المعلـن من قبل الكويكرز؛ ولكنهم انكمشـوا علـى نفسـهم كـثيراً مـن خلال تـرك أعمـال الآلـه. علـى

الرغم من أنني أشعر بالإحساس بأعمالهم الخيرية، لا يسعني إلا أن أبتسمَ بغرورٍ، أنه إذا ما تم استشارة الكويكر عند الخلق، فما الخلق الصامت الذي كان سيكون! فلا زهرة قد تزهر، ولا طير قد يسمح له بالغناء.

وإنهاءً لهذه الأفكار، أُشرعُ في مسائلٍ أخرى. بعد أن أصبحتُ ماهراً في استخدام الكرات (الكرات الارضية المصغرة)، وتصورُ فكرةِ الفضاءِ اللامحدودِ، و التقسيمُ الأبديُ للمادةِ، والحصولُ، على الأقل، على معرفةٍ عامةٍ لما كان يُسمّى بالفلسفة الطبيعيةِ، بدأت بمقارنة او بمواجهة النظام المسيحي للإيمان من خلال الأدلةِ الداخليةِ التي تحملُها تلكَ الأمور.

على الرغم من أنه لم يكن طرحاً مباشراً من النظام المسيحي كون هذا العالم الذي نسكنه هو الوحيد الذي خُلقَ، ولكن من خلال العمل بما يسمى قصة الخلق، قصة حواء و التفاح، ونقيض تلك القصة، موت ابن الربِ. ايماننا خلافاً لذلك، اي الايمان بأن الآله قد خلق عدداً وافراً من العوالم، على الأقل العديد من ما نسميه النجوم، يجعلُ النظامَ المسيحيَ صغيراً و مثيراً للسخريةِ. متناثراً في العقلِ كما يتناثرُ الريشُ في الهواء.

على الرغمِ من كونِ الايمان بعدد وفير من العوالم مألوفا لدى القدماء، إلا أنه في غضون الثلاثة قرون الماضية تم التأكد من مدى وأبعاد العالم الذي نعيش فيه. فقد أبحرت عدة سفن، في المحيط حول العالم، حيثُ يُمكنُ للرجل أن يسيرَ في دائرةٍ، ويأتي بجولة من الجانب الآخر من الدائرةِ إلى المكان نفسه الذي أنطلقَ مِنهُ. إن أبعاد عالمنا، في أوسع جزء، كرجل يقيس أوسع محيط لتفاحةٍ، أو كرةٍ، هو فقط خمسة وعشرون ألفاً وعشرون ميلا، ويمكن ان يُبحَرَ في حوالي ثلاث سنوات.

عالمُ مِن هذا المدى قَد يبدو لنا كبيراً لأولَ وَهلةٍ. لكن إذا قارناها مع مساحةِ الفضاءِ التي عُلقَتْ فيها، مثل فقاعةٍ أو بالونٍ في الهواءِ، فإنها صغيرةٌ مثل حبة الرمال من حجم العالم،

أو أرقى الجسيمات من الندى إلى المحيط كله، وبالتالي فهي صغيرة. وكما هو مـبين فيمـا بعد، ليست سوى واحدة من نظام العوالم.

ليس من الصعبِ الحصولُ على فكرةٍ بسيطةٍ عن مساحةِ الفضاءِ التي يتمُ فيها تعليقُ هـذا العالم و العوالم الأُخرى، إذا تتبعنا الأفكارَ. فعندما نُفَكرُ في حجـمِ أو أبعـاد، غرفـةٍ، أفكارُنـا تقتصِرُ على الجدران، وهناك تتوقف. ولكن عندما تكون اعينُنا، أو خيالنا سهاماً في الفضاء، وهكذا، عندما نبدأ صـعوداً إلـى مـا نسـميه الهـواء الطلـق، فلا يمكننـا تصـورُ أيَ جـدرانٍ أو حدودٍ. وإذا افترضنا حدوداً، فإنَ السؤالَ يُجدِدُ نَفسَهُ فوراً، ويسألُ، مـا هـو أبعـد مـن ذلـك الحد؟ وبنفس الطريقة، ما هو أبعدُ من الحدود التاليةِ؟ وما إلـى ذلـك حـتى يعـودُ الخيـالُ المرهق ويقول: ليس هناكَ نهايةٌ. ومن المؤكد أن الخالق لم يكـن مقيـداً بغرفـةٍ عنـد خلقـهِ لهذا العالم؛ وعلينا أن نبحثَ في شيء آخر.

إذا أخذنا دراسةً استقصائيةً لعالمنا، بالأحرى قد أعطانا الخالق هذا الاسـتخدامَ كجـزءٍ فـي نظام الخلق الهائـلِ، نَجـدُ كُـل جـزءٍ منـه، الأرضَ، الميـاهَ، والهـواء الـتي تحيـط بهـا، مليئـةً، ومرصوفةً بالحياة، من أكبر الحيوانات الـتي نعرفهـا لأصـغر الحشـرات الـتي نراهـا بـالعين المجردة، واخرى اصغر، لا تُرى إلا بمساعدةِ المجهرِ. كل شجرةٍ، كل نباتٍ، كل ورقـةٍ، تخـدم ليس فقط كمسكنٍ، بل كعالمٍ لبعض الانواعِ العديدةِ، حيثُ يكـونُ جـزءاً مـن العشـب غـذاءً لآلافٍ.

مُنذُ ذَلَكَ الحينِ لـم يُـتركْ أيُ جـزءٍ مـن أرضـنا غيـرَ مشـغولٍ، لمـاذا اذاً نفـترضُ أن مسـاحة الفضاءَ هي فراغٌ متروكٌ؟ هناك مجالٌ لملايين العوالِم الكـبيرةِ أو الأكـبرُ مـن عالمنـا، ولكـل مِنهم ملايين الأميال عن بعضها البعض. بعد أن وصلنا الآن لهـذه النقطـة، قـد نـرى السـبَبَ الحقيقيَ، أو على الأقل، سبب وجيه جـدا لسـعادتنا، لـم جعـلَ الخـالقُ عـالمً واحـداً هـائلاً، يمتدُ على مساحةٍ هائلةٍ من الفضاءِ، تُقَسَـمُ فيـهِ المـادةُ لعـوالم منفصـلة نسـميها الكـواكبَ،

والتي أرضنا هي احدُها. ولكن قبل أن أطرَحَ أفكاري حولَ هذا الامر، مـن الضـروري (ليـس من أجل الذين يعلمون بالفعل ، ولكن بالنسبة لأولئك الذين لا يعلمون) إظهارُ نظامُ الكونِ.

الفصل الرابع عشر: نظام الكون

هذا الجزءُ من الكون الذي يسـمى بالنظـامَ الشمسـيَ (بمعنـى إن الشـمسَ هـي مركـزُ نظـام العوالم التي تنتمـي إليهـا أرضُـنا) يتكـونُ، إلـى جـانبِ الشـمسِ، مِـن سـتةِ أجـرامٍ سـماويةٍ متميزةٍ ، أو كواكبٍ، أو عوالمٍ، إلى جانب الهيئاتِ الثانويةِ، التي تُسمى أقماراً، والـتي يـدورُ احـدُها حـول الأرض، كمـا تـدور اقمـارٌ أُخـرى حـولَ كواكبهـا، كمـا يتضـحُ لنـا بمسـاعدة التليسكوب.

الشمسُ هي المركز الـذي يـدورُ حولُهـا كـلٌ مِـنَ العـوالم أو الكـواكب السـتةِ علـى مسـافاتٍ مختلفةٍ مِنها، وفي دوائرٍ متحدةِ المركزِ. كلُ عالمٍ يَبقى باستمرارٍ فـي نفـسِ المسـارِ تقريبـاً حول الشمس، ويستمرُ في نفس الوقت بالدورانِ حـولَ نفسِـه، كمـا يـدورُ المِصـراعُ حـول نفسِه لكن بميلانٍ قليلٍ.

تميـلُ الأرضُ (٢٣.٥ درجـةً) و ذلـك مـا يُسـببُ الفصـولَ و إختلافَ طـولَ النهـارِ والليـل. إذا تحولت الأرض لتدورَ حولَ نفسها عمودياً كما يتحول المصـرع عنـدما يقـف مُنتصـباً علـى الأرض، فإن الأيامَ والليالي تكونُ دائما بنفسِ الطول، اثني عشرة سـاعةً نهـاراً ومِثلُهـا ليلاً، ويكون الموسم نفسه واحداً على مدار السنة.

في كل مرة يُكمِلُ فيها كوكبٌ (أرضنا على سبيل المثال) دورةً حولَ نفسِهِ، فإنه يجعـل مـا نسميه النهار والليل. وفي كل مرةٍ يُكمِلُ جولةً حول الشمس، فإنه يجعـلُ مـا نسـميه سـنةً، وبالتـالي عالمُنـا يـدورُ حـولَ نفسـه ثلاثمئـة وخمـس وسـتون مـرة، بجولـة واحـدةٍ حـول الشمس.

الأسماء التي قّدَمَها القـدماء لتلـك العـوالم السـت، ومـا زالـت تسـمى بنفـس الأسـماء، هـي عطارد، الزُهرة ،عالمنا، المريخ، المشتري، وزُحل. أنها تبدو أكـبر للعيـن مـن النجـوم، و هـي أقرب بملايين الأميال إلى أرضنا من أيٍ مِنَ النُجومْ.

كوكبُ الزهرة الذي يسمى نجم المساء، وأحيانا نجم الصباح، الذي يغـربُ، أو يشـرقُ قبـل الشمس، بفترة لا تزيد عن ثلاث ساعات.

الشمس كما ذُكِرَ مِنْ قبلُ هي المركز، الكوكب أو العالم الأقربُ الى الشمسِ هو عطارد. مسافةُ بُعدِهِ عن الشمس هي أربعةٌ وثلاثون مليونَ ميلٍ، ويَتَحركُ في مدارٍ دائريٍ دائمي على تلك المسافة من الشمس، كما يدورُ الحصانُ في مطحنة.

العالم الثاني هو الزُهرة. يَبعُدُ سبعةً وخمسينَ مليونَ ميلاً عن الشمسِ، وبالتالي يدور في دائرة أكبر من تلك لعطارد. العالمُ الثالثُ هو هذا الذي نعيشُ فيه، والذي يَبعدُ ثمانية وثمانون مليون ميلٍ عن الشمس، وبالتالي يدورُ في دائرةٍ أكبرَ من الزُهرة. العالمُ الرابعُ هو المِريخ؛ ويبعدُ عن الشمسِ مائةً وأربعةً وثلاثونَ مليونَ ميلٍ، وبالتالي يَدورُ في دائرةٍ أكبرُ من تِلكَ التي للأرض. والخامسُ هو كوكبُ المشتري؛ انهُ يبعدُ عن الشمسِ خُمسمائة و سبعٌ وخمسون مليونَ ميلٍ، وبالتالي يدورُ في دائرةٍ أكبرَ مِنَ المريخ. العالمُ السادسُ هو زُحل. انه يَبعُد عن الشمسِ سبعمائةَ وثلاثةَ وستون مليونَ ميلٍ، وبالتالي يَدورُ في دائرةٍ تحيطُ مداراتِ جميعِ العوالم أو الكواكبِ الأخرى.

إن الفضاءَ الذي يشغَلهُ النظامُ الشمسيُ الذي يحتوي عدة عوالمِ تدورُ حولَ الشمسِ، قُطرُهُ مساوٍ لقُطرِ الدائرةِ التي يدورُ فيها زُحل حولَ الشمس، والتي تساوي ضعفَ مسافةِ بُعدِهِ عن الشمس، هي خمسةَ عشرَ مائة و ستة وعشرون مليون ميل. ومحيطُ دائرتها ما يقاربُ خمسة آلاف مليون ميل.

ولكن هذا الفضاء الهائل هو نظامٌ واحدٌ فقط من العوالمِ. أبعد منهُ في مسافةٍ واسعةٍ من الفضاء، هُناكَ ما يتجاوزُ الحُسبان، و هي النجوم التي تُدعى النجومَ الثابتة. وتسمى ثابتةً، لأنها لا تَدورْ، كما تدورُ العوالم أو الكواكبُ السِتُ التي قُمتُ بوصفها. تلك النجومُ الثابتة تبعدُ دائماً عن بعضِها البعض بنفس المسافةِ، و تَقَعُ دائماً في نفسِ المكانِ من نظامها، كما تَفعلُ الشمسُ في نظامنا. وبالتالي، فإن الاحتمال هو أن كلاً من تلك النجوم الثابتة هو أيضا كالشمس، يدور حولها نظامٌ آخرٌ من العوالمِ أو الكواكبْ.

وبهذا التقدم السهل للأفكار، تَظهَرُ مساحةُ الفضاءِ لنا مليئةً بأنظمةِ العوالمِ؛ وأنه لا يوجد جزءٌ من الفضاءِ بلا فائدة. و بذلكَ انتقلُ، بطريقةٍ مألوفةٍ وسهلةٍ، بعد عرضِ فِكرةٍ عن بنيةِ الكونِ، إلى شرح ما سبق أن ألمَحتُ إليهِ، وهي الفوائدُ العظيمةُ للإنسانِ الناتجة مِن جعلِ الخالق عدداً وافراً من العوالم، مثل عالمنا، الذي يتكونُ من الشمسِ في المركز وستةَ عوالمٍ، إلى جانبِ الأقمارِ، بدلاً من خلقِ عالمٍ كبيرٍ واحدٍ.

الفصل الخامس عشر :مزايا وجود عوالم كثيرة في النظام الشمسي

إنها فكرةٌ لم أفقدها أبدا، بأن كل معرفتنا بالعلم مُستَمدةٌ من الجولاتِ (التي تظهر لعيننا ومن ثم إلى فهمنا) التي تقومُ بها الكواكبُ أو العوالمُ المتعددة التي يتكونُ منها نظامُنا الشمسي.

إذا كانت كميةُ المادةِ التي تحتوي عليها هذهِ العوالمُ الست قَد تّمَ مَزجُها في عالمٍ واحدٍ منفردٍ، لكانت النتيجةُ بالنسبة لنا، إما عَدَمَ وجُودَ حركةِ دورانٍ، أو انها لن تكونَ كافيةً لإعطائنا الأفكارَ والمعرفةَ التي لدينا الآن من العلوم و جميع الفنون الميكانيكية التي تساهمُ كثيراً في الراحةِ على الارض.

ومِن ثُم فإن الخالقَ لم يفعل شيئاً عبثاً، فإنه نّظَمَ هيكل الكون بأكثرِ الطُرُقِ فائدةً للإنسان. وكما نرى، الفوائدَ التي نستمِدُها من هيكل الكون، كما هو، و الا لما كان لدينا فُرصَةُ التَمَتُعِ لو كانَ الهيكلَ عالماً انفرادياً، يمكننا أذاً أستدلالَ سببٍ واحدٍ على الأقل لوجودِ عددٍ وافرٍ من العوالم، وهذا السبب يدعو الانسان للإمتنانِ و الاعجابِ.

ولّكنَ ليس لنا، سُكانُ هذا العالمِ، فقط، هذه الفوائدَ الناشئةَ مِن وجودِ عددٍ وافرٍ من العوالمِ. إنَ سُكانَ كُلَ العوالمِ التي يتألفُ مِنها نِظامُنا، يتَمَتَعونَ بنفس فرص المعرفةِ كما نَفعَل. إنهم يعلَمونَ حَرَكةَ دورانِ أرضِنا، و كلَ الكواكبِ الاخرى. وبالتالي، فإن نفس المدرسةِ العالميةِ للعلومِ تُقدِمُ نَفسَها للجميعِ. ولا تتوقفُ المعرفةُ هنا فنِظامُ العوالم المجاورةِ لنا، في دوراتها، لها نفسُ المبادئِ العلمية، وبطريقة مماثلةٍ في جميع أنحاءِ الفضاء.

إن أفكارنا، ليست فقط حول قُدرة الخالقِ، بل حكمتِهِ وإثرائهِ، تتسعُ بما يتناسبُ مع حجمِ الكونِ وبنيتهِ. إن فكرةَ العالمَ المُفردَ في المحيط الهائلِ مِنَ الفضاء، تُستَبدَلُ بفكرةٍ مبهجةٍ لمجتمعٍ من العوالمِ، إننا نرى أرضَنا مليئةً بالوفرةِ؛ ولكننا ننسى أن ننظُرَ كم من تلكَ الوفرةِ يرجعُ إلى المعرفةِ العلميةِ التي تَكشِفُها لنا آلاتُ الكونِ الواسعة.

الفصل السادس عشر: تطبيق ما سبق على النظام المسيحي

ولكن، في خضمِ تلك الأفكار، ما الذي نراهُ في نظام الإيمان المسيحي الذي يُشَكلُ نَفسَهُ على فكرةِ عالمٍ واحدٍ فقط، ليسَ بأكبر من خمسة وعشرين ألف ميل. حيث يستطيع

الانسانُ مشيه بمعدلِ ثلاثة أميالٍ في الساعة لمدة اثنتي عشرة ساعة في اليوم، لأقلِ مـن عامين، بمسار دائريٍ. واحسرتاه! ما هذا المحيطُ العظيمُ من الفضاءِ، وقوة مِن الخالق!

من هناك تنشأُ فكرةٌ غريبةٌ بأنَ الخالقَ الذي تَعتَمِدُ الملايينُ مِنَ العوالمِ علـى رعـايتِه، عليـه تَركُ كُل ما تبقى، ويأتيَ للموتِ في عالمنا، لأنهم يقولونَ، أن رجلاً وامرأةً قـد أكلـوا التفـاح! ومن ناحيـةٍ أُخـرى، هـل علينـا أن نفـترضَ أن كُلاً مِـنَ العـوالمِ فيهـا حـواءٌ، تفاحـةٌ، ثعبـانٌ، ومخلصٌ؟ في هذه الحالة، فإن الشخص الذي لا يرقى الـى اسـمِ ابـن الـرب، وأحيانـاً الـربَ نفسه، لن يكون له أيُ شيءٍ آخرَ سوى السفرَ من عالمٍ إلى آخر، والموتَ بتتابعٍ، مع ما يكـادُ لحظةً فاصلةً للحياة.

انهُ مِن خلالِ رفضِ الأدلةِ حولَ كلمةِ أو أعمالِ الربِ في الخلق، تم تأسيسُ نظمـاً غريبـةً و اديانـاً ملفقةً، قد يكون العديد منها سيئاً أخلاقياً في نواحٍ و جيداً في نواحٍ اخـرى؛ ولكـن يمكن أن يكون هناك واحدٌ صحيحٌ فقط. يتفقُ بالضرورةِ في جميعِ الأمورِ بما يتناسبُ مـع كلمةِ الربِ القائمةِ مُنذُ أي وقـتٍ مضـى المتمثلـةِ فـي أعمـالهِ. ولكـنَ البنـاءَ الغريـبَ للنظـام المسيحيِ للإيمـان، تُناقِضُـهُ كُـلَ الأدلـةِ الـتي تمنحهـا السـماوات للإنسـان، أو تجعلـه يبـدو سخيفاً.

فمن الممكن أن نؤمن، وأنا دائما أشجع نفسي على ذلك، أن هنـاك رجـال فـي العـالم الـذين أقنعوا بأن ما يسمى غش التقية، على الأقل في ظل ظـروف معينـة، تكـون منتجـة لبعـض الخير. غير أن الغش الذي تم إنشاؤه في وقت ما، لا يمكن تبريره بعـد ذلـك؛ لأنـه مـع غـش التقية كما هو الحال مع العمل سيء، فإنه يبعث على ضرورة من الاستمرار.

الأشخاصُ الذينَ بَشَروا أولاً بالنظامِ المسيحيِ للإيمان، وفي بعض الاحيان جنباً إلى جنب مع الأخلاقِ التي بّشَرَ بها يسوع المسيح، قد يُقنعونَ أنفسهم أنه كان أفضَلَ من الأساطيرِ الوثنيةِ التي سادت قبل ذلك.

من الواعظ الأول إنتقلَ الاحتيالُ إلى الثاني، والثالث، حتى أن فكرةَ كونه غشاً تقياً قد فُقِدَتْ و إختُلِطَتْ بإعتقادِ كونها حقيقةً. و يشجُع هذا الاعتقادُ مرةً أخُرى مصلحةُ الذينَ كَسَبوا رِزقَهم بالوعظ.

ولكن على الرغمِ من أن مثل هذا الاعتقاد يمكن لهُ بهذهِ الوسائلِ، أن يَقُّمَ تقريبا بين الدنيويين، فمن المستحيلِ مقارنتِه مع الاضطهادِ المُستمرِ الذي مارَستهُ الكنيسة، لعدة مئاتٍ من السنين، ضِّدَ العلومِ، وضد أساتذتهِ، ما لم تكن للكنيسةُ بعض السِجلاتِ بكونها غشاً تقياً، أو توقعِها عدمَ الصمودِ امامَ الأدلةِ التي يوفِرُها هيكلُ الكون.

الفصل السابع عشر: من الوسائل المستخدمة على الصعيد العالمي، لخداع الشعوب

بعد أن أظهرتُ التناقضاتِ التي لا يمكن توفيقها بين الحقيقي من كلمةِ الربِ الموجودةِ في الكون، والتي تُسمّى كلمة الرب، في كتابٍ مطبوع يُمكنُ لأي إنسانٍ صُنعهُ، اتكلمُ الآنَ عن الوسائلِ الرئيسيةِ الثلاث التي أُستُخدِمَتْ في جميعِ العصورِ، وربما في جميعِ البلدانِ، لفرضِها على البشريةِ.

هذهِ الوسائلُ الثلاثَ هي الغموض، المعجزة، والنبوءة. أولَ إثنينِ لا يتفقانِ مع الدين الحقيقيِ، والثالثُ يجب أن يُشككَ به دائماً.

وفيما يتعلقُ بالغموضِ فهو كالتالي، إنَ كُل ما لدينا هو لغزٌ؛ الخُضارُ هو لغز. فلا يُمكنُنا معرفةَ كيف أنَ البلوطَ، عندما يوضعُ في الأرض، ينمو ويُصبحَ شجرةَ بلوط. نحنُ لا نعرفُ كيفَ أن البذورَ التي نَزرعها تنمو وتضاعفُ نفسها، و تعود لنا بفائدةٍ وفيرةٍ لرأسِ مالٍ صغيرٍ جداً. لكننا نَعرِفُ الوسائلَ التي نَستَخدِمُها، والتي ليست سِوى وضع البذورِ في الأرضِ فنعرفُ فقط بقدرِ ما هو ضروريٌ بالنسبة لنا أن نعرف؛ وجزءُ العمليةِ الذي لا نعرفُه او حتى اذا عرفناه، فلن نتمكن من أداءِه، فالخالق يَفعَلُ ذلك بنفسهِ. لذلك، نحن أفضل حالاً بتركها سراً و عدمَ الاضطرارِ لفعلِها بأنفُسِنا.

ولكن على الرغم من أنَ كُل شيءٍ مخلوقٍ هو غامضٌ لنا بهذا المعنى، فكلمةُ الغموضُ لا يمكنُ تطبيقُها على الحقيقةِ الأخلاقيةِ، كما لا يُمكنُ تطبيقُ الغموضِ على الضوء. الرب الذي نؤمنُ بهِ هو إلهُ الحقيقةِ الأخلاقيةِ، وليس إله الغموض. الغموضُ هو اختصارٌ للحقيقةِ. إنهُ ضبابٌ مِن اختراعِ الإنسانِ الذي يَحجِبُ الحقيقةَ، ويُمَثلها بتشويهٍ. الحقيقةُ لا تُغَلِفُ نَفسَها أبداً بالغموضْ.

وبالتالي، فإن الإيمانَ بالربِ، وممارسةِ الأخلاقِ الحقيقةِ، لا يُمكنُ أن يَكونَ مُرتَبِطاً بالغموض. الإيمانُ بربٍ فيهِ أيُ شيءٍ من الغموض هوَ مِنَ المعتقداتِ الأكثرِ سهولةً التي

تُثيرُنا و تَظهَرُ لنا كضرورة. لّكن المُمارسةَ الأخلاقية الحقيقةَ، أو، وبعبارة أخرى، تقليدٌ عمليٌ للأخلاقيةِ الخيرةِ للرب ليست سوى أن نَتَصَرَفَ تجاهَ بعضِنا البعض كما هو يَفعَلُ تِجاهَ الجميع.

لا يُمكنُنا أن نَخدُمَ الرّبَ كأنه بحاجةٍ ماسةٍ لتلكِ الخدمةِ؛ وبالتالي، الفكرةُ الوحيدةُ التي يُمكنُ أن تَكونَ خِدمَةً للربِ، هيَ المُساهمةُ في سعادةِ الخلقِ الحيِ الذي صَنَعَهُ الرب. لا يُمكنُ القيامُ بذلِكَ عن طريق التقوقع على أنفُسِنا وإنفاقُ حياةٍ راكدةٍ بتكريسٍ انانيٍ. إنَ طبيعةَ الدينِ وتصميمهُ، إذا كان ليَ أن أُعبِرَ عَنهُ هكذا يّجِبُ أن يكونَ خالياً مِنْ أي شيءٍ من الغموضِ حتى في مظاهرهِ.

الدينُ، كواجبٍ، هو واجبٌ على كُلِ روحٍ حيةٍ على حدٍ سواء، يجبُ أن يكونَ على مستوى فِهمِ الجميعِ. الرجلُ لا يتعلمُ الدينَ بتعلمهِ أسرارَ التجارةِ. لكنه يتعلمُ نظريةَ الدينِ من خلال التفكيرِ. وينشأُ مما يسمعُ و يقرأ، والممارسةُ تَنضَمُ إلى ذلكَ.

وعِندما يُنشئُ الإنسانُ ديناً يتعارضُ مع كلمةِ أو أعمالِ الربِ في الخلقِ، خارجاً عن الفهمِ البشريِ، فهو مُضطَرٌ لإختراعِ أو اعتمادِ كلمةً تُمَثِلُ حداً لكلِ الأسئلةِ، و الإستفساراتِ و التناقضات.

كما خدمَ الغموضُ جميع الأغراض العامةَ، أعقبتهُ المعجزةُ كمساعدٍ في بعضِ الأحيانِ. الأول اشار إلى حيرةِ العقلِ، والثاني إلى لغزِ الحواسِ. وكان احدُهم كلامياً، والآخرُ شعورياً.

لكن قبلَ المُضي قُدماً في هذا الموضوعِ، سيكونُ من المناسبِ الاستفسارُ عن معنى المعجزة. بنفسِ المعنى الذي يُمكنُ أن يُقال فيه أنَ كُلَ شيءٍ هو لغز،

يمكنُ أن يقالَ أيضاً أن كُلَ شيءٍ هو معجزة، وأنه لا معجزةَ أكبرُ من آخرى. الفيل، وإن كان أكبر، ليس بمعجزة اكبر من سوس، و ليس الجَبَلُ بأكبرَ معجـزةً مـن الـذرة. فـإنه ليـس مـن الصعب لقدرةِ الربِ جعلَ واحداً من الآخر، وليس أكثر صعوبةً من خلقِ مليوناً من العالمين بخلق واحد فقط.

كُلَ شيءٍ، إذاً، هو معجـزةٌ، بمعنـىً واحـدً؛ بينمـا، فـي الجـانبِ الآخـرِ لا يوجـدُ شـيءٌ أسـمهُ معجزة. إنها معجزةٌ عندَ مقارنتهِ مع قُـدُراتِنا، وفِهمِنـا. وليسـت معجـزةً مقارنـةً مـع القـدرةِ التي تؤديها. فأذاً لا شـيء مِـن هـذا الوصـفِ يَنقُـلُ الفكـرة الملصـقة بكلمـةِ المعجـزة، فمِـنَ الضروريِ تَفَحُصُ الاستفسارِ أكثر.

تتصورُ البشـريةُ لنفسـها قوانينـاً معينـةً، يـدعونها بالطبيعـة تُفَسِـرُ كيـفَ مـن المفـترضِ أن تتصرفَ. وأنَ المعجزةَ هيَ شيءٌ يخدعُ او يخرجُ عن تلكَ القوانين. ولكن ما لم نَكن نعـرفُ مدى هذه القوانين، وما يطلقُ عليهِ عادةً الطبيعةَ، فنحنُ لسـنا قـادرينَ علـى الحكـمِ مـا إذا كان أيُ شيءٍ يبدو لنا رائعاً أو خارقاً، قد يكونُ مخالفاً للطبيعة.

صعودُ رجلٍ عِدةَ أميالٍ عاليةٍ في الهواءِ يشكل فكرةٍ لمعجزة، إذا لم يكن معروفاً أن أنواعـاً من الغازاتِ يمكنُ أن تكونَ أخفَ وزناً مِنَ الهواءِ الجوي، ومرنةً بصورة كافيةٍ لنفـخِ البـالونِ الذي يكون فيه الغاز مغلقاً.

بهذه الطريقةِ، إستِخراجُ ومضاتٍ أو شراراتٍ من النـار مـن جسـمِ الإنسـانِ، كمـا يبـدو عنـد طرقِ الحديد، وتسبب الحديدِ أو الصلبِ بالتحركِ دونَ أي عاملٍ مرئيٍ، يُعطـي أيضـاً فِكـرة معجزة، إذا لم نكن على درايةٍ بالكهرباءِ والمغناطيسيةِ كما للعديد من التجاربِ الأخرى في الفلسفة الطبيعية، لأولئكَ الذين ليسوا على درايةٍ بهذا الأمر.

إستعادةُ الأشخاصِ إلى الحياة بعد الموتِ كما يُمارَسُ عِند غرقِ الأشخاصِ، سيكونُ أيضاً معجزةً، إذا لم يَكن من المعروفِ أنَ الحياةَ قد تكونُ مُعلَقةً دونَ أن تنتهي.

وبالاضافةِ الى هذه، هُناكَ عروضٌ لخفة اليد لها مظاهرٌ خارقةٌ، و الخداعُ البصريُ. هناك الآن معرضٌ في باريس يُظهِرُ شبحاً، على الرغم مِن أنه لا يُطرَحُ على المتفرجينِ كحقيقةٍ، لكن لديهِ مظهرٌ مُذهل. ولذلك، فإننا لا نعرفُ مدى الطبيعةِ او الفنِ، ليس هُناكَ معيارٌ لتحديدِ ما هو معجزةٌ؛ وفكرةُ تسميةِ المظاهرِ بالمعجزاتِ مِن قِبلِ البشريةِ، تَخضَعُ لتغييرٍ مستمرٍ.

لذلكَ المظاهرُ هي قادرةٌ جداً على الخداعِ، وأشياءٌ ليست حقيقية لديها تشابهٌ قويٌ مع الأشياءِ الحقيقةِ، لذلكَ لا شيءَ يُمكنُ أن يَكونَ أكثرُ تناقضاً مِن إستخدامِ القديرِ أساليباً تسمى المُعجزات، التي من شأنِها أن تَخضَعَ للأشتباه بالكذبِ او الاحتيال، والمذهبُ المدعومُ بذلك يُشتَبَهُ بكونهِ اختراعاً خرافياً.

إن من جميع وسائلِ الأدلة التي تم إختراعُها منذُ أي وقتٍ مَضى للحصولِ على المصداقيةِ لأي نظامٍ أو رأيٍ أعطيَ له اسمُ الدين، هو المعجزة، وعلى فرضِ كونِها ناجحةً فإنها اكثرُ تناقضاً. لأنه، في المقامِ الأول، كلما كان اللجوءُ لعرضٍ من اجلِ دعمِ فكرةٍ (فالمعجزةُ هي عرضٌ) يدلُ ذلكَ على ضعفٍ في المذهب الذي يُبَشرُ به. وفي المقام الثاني، هو يُحطِ من قيمةِ الربِ ممثلاً إياه شخصيةً تَعرِضُ لُعبَ الحيلِ لتسليةِ الناس من أجلِ التحديقِ والعجبِ .

بل مِنَ الأكثرُ غموضاً من الأدلةِ؛ هو عدمُ الاعتمادِ على ما يسمى معجزةً، بل على ائتمان المراسلِ، الذي يقولُ أنه رآها؛ على فرض انها كانت صحيحاً، فإن أحتمالَ تَصديقِها لن يكونَ أفضلَ من إحتمالِ تكذيبِها.

لنفترضُ أنني قُلتُ، أنه عندما جلست لكتابةِ هذا الكتاب، قد قَّدَمَتْ يداً نَفسَها في الهواء، وأخذتْ القَلمَ وكَتَبَتْ كُلَ كلمةٍ مكتوبةٍ؛ هل سيُصَدقُني أحد؟ بالتأكيد لا. هل سيُصَدُقُني احدٌ أكثر لو كان ذلكَ الأمرُ حقيقةً؟ بالتاكيدِ لا. لِذلكَ فإنَ أي معجزةٍ حقيقية، ان كانت لتحدث، ستَخضَعُ لنفسِ مصيرِ البُطلانِ؛ و التناقضُ يزيدُ عِندَ إفتراضِ استخدامِ الرب لوسائلَ لا تؤدي الغرضَ المقصودَ مِنها، حتى إذا كانت حقيقيةً.

إذا كانَ لنا أن نفترضَ مُعجِزةً خارجةً تماماً عن ما يُسَمى بالطبيعةِ، وإنها يَجِبُ أن تَخرُجَ عنها بالطبع لكي نُكمل، ونحنُ نَرى حسابً معيناً لهذه المعجزة من قولِ شخصٍ ما إنه رآها تحدث، فإن ذلكَ يُثيرُ سؤالاً في العقلِ يجابُ بسهولةٍ جداً، أيهما أكثرُ إحتمالاً ؟ أن تَخرُجَ الطبيعةُ عن مسارِها، أو أنَ الرَجُلَ يَكذُب؟ لم نرَ قط، في عصرنا، الطبيعةَ تخرجُ عن مسارِها. ولكن لدينا سببٌ وجيهٌ للاعتقادِ بأن ملايينا من الأكاذيبِ قد قيلث؛ لِذلك إن إحتمالَ روايةِ المُراسلَ لكذبةٍ هو مليون الى واحد على الأقل.

قصة بلع الحوت ليونس، على الرغم من أن الحوتَ ضخمٌ بما يكفي ليفعلَ ذلكَ، هي رائعةٌ الى حدٍ كبيرٍ. ولكن ستكونُ أقربَ إلى فكرةِ معجزةٍ، لو كانَ يونسُ قد ابتلعَ الحوتَ. فهذه تستوفي جميعَ شروطِ المعجزات، وهذه المسألةُ تُجيبُ نَفسَها كما ذُكَرَ مِن قبل، أي، هل من المحتملِ أن رجلاً قد ابتلعَ حوتاً، أو إنه يَكذُبْ؟

ولكن لنفترض أن يونس قَد إبتلعَ الحوتَ حقاً، وحَمَلَهُ مَعَهُ في بطنه إلى نينوى، وأقنعَ الناسَ أن ذلكَ صحيحٌ بالقاءه اياه امامَ أعينهم، بكاملِ طولهِ و حجمهِ، ألن يعتقدوا أنه كان

شيطاناً بدلاً من نـبي؟ أو إذا كـانَ الحـوتُ قـد حملَ يـونسَ إلـى نينـوى، وألقـى بـه بنفـسِ الطريقةِ، ألن يعتقدوا أنَ الحوتَ شيطانٌ، ويونسَ هو واحدٌ من عفاريتهِ؟

الأكثرُ استثنائيةً من جميعِ الأشياءِ التي تُسَمى المعجزات، المرتبطةِ بالعهدِ الجديـدِ، هـو أن الشيطانَ قد حَلَّقَ بعيداً مع يسوع المسيح، وحَمَلهُ إلـى قمـةِ جبـلٍ عـالٍ؛ وإلـى أعلـى ذروةِ المعبدِ، ووعدهُ كل ممالكِ العالمِ. كيف حدث أنه لم يكتشف أمريكا؟

لديَ احـترامٌ للطـابع الأخلاقـي للمسـيحِ أكـثر مـن أن أُصـدق أنـهُ قـد روى مُعجـزةَ الحـوتِ بنفسهِ؛ ليسَ مِنَ السهلِ حسابُ غرضِ تلفيقِها، إلا إذا كانَ لطرحهـا علـى خـبراءِ المعجـزات، كمـا يُمـارَسُ أحيانـاً مـعَ خُـبراء الملكـةِ آن، وجـامعي القطـعِ الأثريـةِ، أو لتسـخيف فكـرةِ المعجزاتِ، من خلال جعل قُدرتِها مشكوكاً بِها، أهيَ مِنَ الّربِ أم مِنَ الشيطانِ، ألايمانُ بـأي معجزةٍ يتَطلبُ قدراً كبيراً من الإيمانِ بالشيطان.

المعجزاتُ في أي وجهةِ نظر يُمكنُ وضعُها واعتِبارُها، فوقوعُها أمرٌ غيـرُ مُحتَمـلٍ، و لا داعٍ لها. ولن يلجئَ اليها الخالقُ، كما ذُكرَ مِنْ قبل، حتى و إن كانت صحيحةً؛ فالإيمانُ بمعجـزةٍ، اصعبُ من الإيمانِ بمبدإٍ أخلاقيٍ واضحٍ، دونَ أي معجزة.

المبدأُ الأخلاقيُ يتَحدثُ عن نفسه عالمياً. المُعجِزةُ يُمكنُ أن تكـونَ شـيئاً لحظيـاً، وتُشـاهدُ من قِبَلِ عددٍ قليلٍ؛ بعد هذا فالتصديقُ بمعجزةٍ بنـاءً علـى كلامِ أنسـانٍ يحـولُ الإيمـان مـن إيمانَ بـالرب لإيمـانٍ بإنسـان . وبالتـالي، الاعـترافُ بـالمعجزاتِ كـدليلٍ علـى أي نظـامٍ مـن الدين، يجب أن تُعتَبَرَ مِن أعراضَ كونِهِ خرافةً. فمِـنَ الضـروريِ أن يرفُـضَ الطـابعُ الكامـلُ والمستقيمُ للحقيقةِ الارتكازَ إلى الخرافَةِ و الغموضِ والمعجزات.

كما تولى الغموضُ والمعجزةُ مسؤوليةَ الماضي والحاضر، تولتْ النبوءةُ مسؤوليةَ المستقبلِ، فلَمْ يكن كافياً للإنسانِ معرفةُ ما تم القيامُ بِهِ، ولكن ما سَيَتِمُ فِعلُهُ. وكان النبيُ مؤرخاً لما سيأتي؛ فالتصويبُ من بعدٍ على مدى ألفَ سنةٍ وإصابة اميال بعيدة عن الهدفِ يَجعَلُ الأمرَ بِلا معنى. وإن حَدَثَ و كانتْ النبوءةُ خطأً مُباشراً، يجبُ علينا أن نَفتَرِضَ أنَ الرّبَ قد غيّرَ رأيهُ. ما أحمقَ الإنسانَ الذي تَصنَعُهُ الخُرافات.

في جُزءٍ سابقٍ مِنْ هذا العمل، ذُكِرَ أن أصلَ معنى كلماتِ النبي والتنبؤ قد تَغَيَرَ، وإن النبيَ، بالمعنى المُستخدمِ الآنَ، هو اختراعٌ حديثٌ؛ ويرجعُ ذلكَ التغييرُ في معنى الكلماتِ، الى أن الرحلاتِ والاستعاراتِ والعبارات والتعابير الشعريةِ اليهودية، قد أصبَحتْ الآن غامضةً لنا و لا نَعرِفُ الظُروفَ المحليةَ التي طَّبقوها في وقتِ استخدامِها، فسُميتْ نبوءاتٍ، وجُعِلَ كُلُ شيءٍ غيرِ مفهومٍ نبوءةً، كان الخِداعُ ليُسمى نبوءةً.

أذا كان لنا أن نفتَرضَ أن الرّبَ قد حَدَّثَ وتواصلَ مع إنسانٍ ليحَدثَهُ عن المستقبل، سواءَ كان هُناكَ مثلُ هكذا إنسانٍ، أو لم يَكنْ. فإن كان هُناكَ، فمن السليمِ أن نعتقدَ أن يَتّمَ إبلاغُ الحَدَثِ بمصطلحاتٍ مفهومةٍ بعيدةٍ عن الغموضِ، وبطريقةٍ لا لِبسَ فيها لتُناسبَ أيَ ظرفٍ يَحدُثُ بعدَ ذلك.

ولكن كُل الأشياءِ التي تُسمى نبوءاتٍ في الكتابِ المسمى بالمقدسِ تأتي تحتَ هذا الوصف. ولكن حال النبوءةِ كحالُ المُعجزةِ. فلن نستطيعَ الأقرارَ حتى لو كانت حقيقيةً. أولئك الذينَ يجبُ أن يُخبَروا بالنبوءَةِ لا يُمكنُ لهمْ أن يعرِفوا ما إذا كانَ الرَجُلُ قد تنبأَ أو كَذِبَ، أو ما إذا كان قد كُشِفَ له شيءٌ، أو توقعَه بنفسهِ؛ واذا كان الشيءُ الذي يسمى النبوءةُ يجب ان يَحدُثَ بالتحديد ام شيءٌ يشبهُهُ من بينِ العديدِ من الامورِ التي تَحدُثُ يومياً، لا يُمكنُ ان يُعرَفَ ما اذا كان قد تنبأ بها، أم خمّنَها، أو ما إذا كان ذلك قد حدثَ

عرضياً. النبيُ، لذلك، هو شخصيةٌ عديمةُ الفائدةِ وغيرُ ضروريةٍ. والجانبُ الآمنُ مِنَ القضيةِ هو الحذرُ من افتراضها، من خلال عدمِ إعطاءِ ائتمانٍ لهذه العلاقات.

على العموم، الغموضُ،والمعجزةُ، والنبوءةُ، هي الزوائدُ التي تنتمي إلى خرافةٍ وليس ديناً حقيقياً. فهي الوسيلةُ التي إنتَشَرتْ مِنْ خلالِها الكثيرُ من الأقاويلِ حول العالم، و الدينُ اصبحَ تجارةً. وأدى نجاحُ أحدِ المُنتَحِلينَ، لتشجيعِ الآخر، و استمروا بالقيامِ ببعضِ الخيرِ ومواكبةِ الاحتيالِ تقية لحمايتِهم من الندمْ.

خُلاصة

وبعـدَ أن مَـدَدتُ الموضـوعَ الآن لأطـولَ ممـا كُنـتُ أقصـد فـي المقـامِ الأول، سـأختتمهُ باستخلاصٍ ملخصٍ من مُجمَلِهِ.

أولاً، إنَ فِكرةَ أو مُعتقَدَ أن كلمةَ الرب موجودةٌ في الطباعةِ، أو الكتابةِ، أو فـي الكلامِ، غيـر مُتناسَقةٍ في حد ذاتها للأسبابِ التي سُبِقَ شَرحُها. وهذه الأسباب، من بيـنِ أسـبابٍ أُخـرى، هي الحاجةُ لوجـودِ لغـةٍ عالميـةٍ؛ تَغيـرِ اللغـات ، وأخطـاءُ الترجمـاتْ، وإمكانيـةُ قمعِ هـذه الكلمةِ تماماً؛ وإحتمالُ تغييرها، أو تلفيقِها كُلِها، وفَرضِها على العالم.

ثانياً، أن الخلق الذي نراهُ هو الكلمةُ الحقيقيةُ والأبديةُ للخـالق، والـتي لا يُمكنُنـا أن نُخـدَعَ بها. و تُرينا قُدرَتَهُ، وتَدُلُ على حِكمَتِهِ، وعلى خَيرِهِ وإثرائهِ.

ثالثاً، إن الواجبَ الأخلاقيَ للإنسـانِ يَتَمَثـلُ بتقليـدِ الخيـرِ الأخلاقـي وإحسـانِ الـربِ الـذي تجلى في الخليقةِ نحو جميعِ مخلوقاتِه. أن نَفعَلُ يومياً خيرَ الـرب لجميـعِ النـاس، بـل هـو قُدوةٌ لجميـعِ النـاسِ لممارسـةِ الإحسـان تجـاه كـل منهمـا الآخـر؛ وبالتـالي، كُـلَ شـيءٍ مِـنَ الإضطهادِ والإنتقامِ بينَ الناسِ، وكُلٌ شيءٍ من القسوةِ على الحيوانات، هو انتهاكٌ للـواجبِ الأخلاقي.

أنا لا أُزعجُ نفسيَ بالنظرِ الى المستقبل. أنا سعيدٌ بالإيمانِ، حتى بقناعةٍ إيجابيةٍ، أن القـدرةَ التي أعطتنيَ الوجودَ قادرةٌ على مواصلةِ ذلـكَ، فـي أي شـكلٍ وطريقـةٍ تَرغـبُ، إمـا مـع أو بِدونِ هذه الجسد؛ ويَبدو أكثرَ احتمالاً إنني سأظلُ موجـوداً فيمـا بعـد كمـا انـا الآن، و كمـا كُنتُ قبل أن يبدأ هذا الوجود.

ومن المؤكدِ أنه، في مرحلةٍ ما، تتفقُ جميعُ دول الأرض وجميع الأديان على شـيء. فكلُهـم يؤمِنونَ بالربِ، الأشياءِ التي يَختَلِفونَ فيها هي الزوائد الملحقة بهذا الاعتقاد؛ ومِن ثُـم، أي دينٍ جديدٍ يجبُ أنْ يسودَ، فإنه لن يأتيَ بأي شـيءٍ جديـدٍ، ولكنـهُ يتخلـصُ مِـنَ الزوائـدِ، و يُبقي على الإيمانِ كما آمن الإنسانُ في البدء، فآدم، إن كان هناك هكذا رجل، خُلِـقَ ربوبيـاً.
لكن في الوقت الحالي، لندع كُل إنسانٍ يُمارِسُ حقهُ بإتباعِ الدينِ والعبادةِ التي يُفَضِلْ

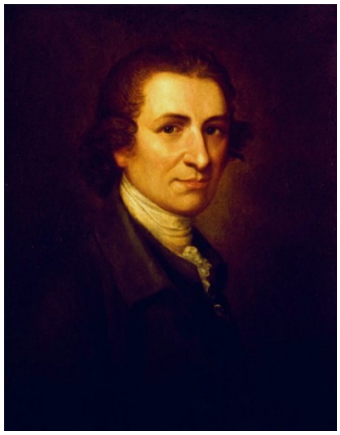

توماس باين

توماس باين(١٧٣٧ – ١٨٠٩) ثوري إنكليزي ومخترع ومفكر ولد في بريطانيا وهاجر إلى أمريكا عام ١٧٧٤. كان لمؤلفه "الحس السليم" سنة ١٧٧٦ أثرٌ كبير في التعجيل بإعلان الاستقلال، وكذلك فَعَلَ عمَلُهُ الآخر "الأزمنة الأمركية".